الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي صالحي أحمد * النعامة *

معهد الآداب واللّغات قسم اللّغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي

(تخصص أدب عربي حديث و معاصر)

موسومة بـ:

تجليات الرمز في شعر نزار قباني

إعداد الطالبتان :

-بلوافي سمحية

- دربال فاطمة

تحت إشراف الدكتور:

مبخوت بودواية

السنة الجامعية:

1441/1440هـ - 2020/2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على

أشرف المرسلين و صحابته أجمعين إلى يوم الدين

نتقدم بخالص الاحترام و الشكر الجزيل إلى أستاذنا

المشرف" مبخوت بودواية "على المساعدة القيمة

التي أفادنا بها طيلة إنجاز البحث ، كما لا ننسى أن

نتقدم بجزيل الشكر إلى الشموع التي احترقت تنير

دروب العلم و المعرفة ، إلى من صنعوا الرجال و

ربوا الأجيال أساتذتنا بالمركز الجامعي .

وشكـــرًا

الإهداء

إلى التي حضنتني ذات بكاء مجهش ، ثم همست في أذني حبيبتي دمعتك غالية كوني كما يليق بك ليس كما يريدون ، إنها العزيزة أمي

إلى الذي أحرق سجارة، ثم أجهز عليها في ثلاثة أنفاس ، وهو الذي لم يدخن يوما ... ! ، كان تعبيرا منه أنه سيحرق من مسني بألم العظيم أبي

إلى من شاركوني البسمات صديقاتي الوفيات "سهيلة ، فاطمة ، ثريا ، خديجة و رشيدة "

سمحية

الإهداء

الحمد لله الذي إبتدأ الإنسان بنعمته و علمه ما لم يكن يعلم و أفضل الصلاة و أتم على محمد صلى الله عليه و سلم

أهدي ثمرة جهدي إلى قرة عيني التي جعل الله الجنة تحت اقدامها "أمي"

إلى من أحمل إسمه بكل فخر "أبي" الغالي أطال الله في عمره

إلى نور حياتي و رفيقات دربي أخواتي العزيزات

إلى أعز صديق و أفضل رفيق "أيوب"

وإلى حبيب قلبي و قرة عيني أخي الصغير "محمد"

دربال فاطمة

مقدمة

تكمن جمالية اللغة الشعرية في ابتعادها عن البساطة والمباشرة وهذا ما دفع الشاعر المعاصر إلى التلميح والترميز بغية إعطاء النص الشعري لمسة خاصة تزيد من قوة المعنى بالرمز تستطيع استفزاز المتلقي وإجباره على فك شفرات القصيدة من أجل تحديد الدلالة وفهم الشاعر والغاية من توظيفه للرمز.

فتوظيف الرمز التاريخي "شخصية تاريخية" مثلا تجعلنا نعود إلى قراءة التاريخ من أجل فهم وربط تلك الشخصية بموضوع القصيدة فهنا تحفيز المتلقي على البحث مما يثري رصيده الثقافي.

يعد توظيف الرمز من القضايا الجديدة التي عرفتها القصيدة المعاصرة والتي تظهر فيها إبداعات الشاعر وتفجر كل قدراته الشعرية، كما تبرز براعته في توظيفها داخل شعره، فالرمز هنا يخدم إمكانيات الشاعر فيخرج شعره في قالب إبداعي ويفرض عليه التلاعب باللغة.

الشاعر نزار القباني الذي استضفناه في هذا البحث وسافرنا معه لفك الشفرات بين القصائد الثلاث: "القدس – منشورات فدائية على جدران إسرائيل – بلقيس"، ومعه نحط الرحال في الأرض المقدسة "القدس" ونعيش مرارة معاناتها ونزور بيروت لنكشف ظلم النظام وبشاعة الحرب.

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بتجليات الرمز في شعر نزار قباني لدافع شخصي يتخلج نفوسنا لكونه تجربة شعرية صادقة نقلت إلينا بأسلوب مميز و صادق ، كما أن أغلب الطلبة يتخوفون من القضية الرمزية و يستصعبونها .

المنهج : هو منهج سميائي ، بحيث قمنا بفك رموز و إشارات القصائد الثلاث التي كانت نماذج لهذا البحث .

ومن أجل الوصول إلى الرمز في الشعر العربي والتعرف عليه والتعرف على الشاعر الملقب بشاعر المرأة، طرحنا عدة تساؤلات وأهمها:

- ما هو الرمز؟
- ما هي أهم الرموز التي استخدمت في هذا العصر وأين تكمن وظيفتها؟
- ما هي أهم الرموز التي ميزت قصائد نزار القباني؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين مسبوقين بمدخل ومقدمة، ففي **الفصل الأول** الموسوم بماهية الرمز، حيث شمل على الجانب النظري، قمنا بتعريف الرمز والحديث على أنواعه، وذكر وظائفه ودوره في القصيدة.

أما **الفصل الثاني** فعنوانه دراسة تحليلية لقصائد نزار القباني الذي اشتمل على الجانب التطبيقي واستخرجنا الرمز من القصائد المدروسة في البحث، وخاتمة جمعنا فيها ما تمكنا من الوصول إليه من نتائج.

الصعوبات التي واجهتنا : وكما اعترضتنا صعوبات و نحن نلم أجزاء هذا البحث :

ضعف تدفق الانترنت و غلق المكتبات مبكرا بسبب جائحة كورونا ، إننا لا ندعي الوصول إلى نتائج نهائية ، إنما هي مجرد اجتهادات حاولنا من خلالها الكشف عن بعض الجوانب الفكرية .

وقد اشتمل بحثنا هذا على جملة من الكتب قربتنا من الرمز واستخداماته المختلفة ومن أهمها: اتجاهات الشعر العربي – قضاياه وظواهره الفنية – لعز الدين اسماعيل، والأدب العربي الحديث "شعره" لسامي يوسف أبو زيد.

.

مدخـــل

شهد تاريخ الأدب العربي تقلبات في شعره فبعد ما كان شعر القوة والفصاحة أصبح شعر الضعف والركود، حاول محمود سامي البارودي أن يعيد النبض للأدب العربي عن طريق ربط حديثه بماضيه، وعرف هذا العصر بعصر النهضة ومن العوامل التي أسهمت في النهوض بالأدب العربي ما يلي:

أ- **الطباعة:** تعد الطباعة وسيلة مهمة لنشر المعارف بين الناس، ولم يستفد العرب من الطباعة إلا سنة 1821 حين أنشأ محمد علي المطبعة الأهلية التي عرفت باسم مطبعة "بولاق"، وتليها المطبعة الأمريكية التي نقلت من مالطة إلى بيروت سنة 1834، وتولى بعدها الطباعة في سائر البلدان العربية، فظهرت في فلسطين عدة مطابع منذ عهد مبكر، وكان من آثار تأسيس المطابع أن ظهرت الصحف والمجلات وازدهرت حركة التأليف والتصنيف.

ب- **الصحافة:** ظهرت صحف يومية ومجلات دورية في وقت مبكر، وكانت مصر رائدة الصحافة، فقد صدرت صحيفة "الوقائع المصرية" سنة 1828 لعهد محمد علي، بوصفها جريدة رسمية، وتزايد عدد الصحف في ربوع الوطن العربي، وكان لها دور بارز في نشر الأعمال الأدبية لكبار الأدباء وأسهمت في إيقاظ الروح الوطنية ومحاربة الاستبداد ونقلت إلى الشرق الآداب العربية، وساهمت في تحرير اللغة العربية من الأساليب الجامدة.

ج- **البعثات التعليمية:**أرسل محمد علي إحدى عشر بعثة علمية إلى فرنسا وغيرها من دول أوروبا بين عامي 1826 و1847 ليقف أفرادها على نظم التعليم الحديث، وليعملوا بعد خروجهم على إصلاح التعليم في مصر، وكان من ثمرات هذه البعثات أن هؤلاء الطلبة تولوا شؤون التعليم فيها، وتصدى الطهطاوي للترجمة من الفرنسية إلى العربية ومهد الطريق لأول جيل من المترجمين المصريين.[1]

فكرة الإحياء والنهوض بما هو قديم لم تدم طويلا، وخصوصا بعد تعرض الساحة الأدبية في الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية لهزات سياسية، اجتماعية، اقتصادية، وثقافية، زعزعت الثقة بالموروث الأدبي لدى المثقف العربي فجعلته أرض خصبة لقبول التيارات الأدبية الوافدة من وراء الحدود[2]، ليشهد الأدب العربي تقلبا آخر هز كيانه وغير من شكله ولم يؤذ لغته بكثرة الزخرفة والكناية، تقلبا ألبسه ثوبا مواكبا للعصر المعاصر، دفع بعجلته إلى الأمام تاركا وراءه كل ما هو قديم ليخلق لونا آخر للشعر، و اسما جديدا للعصر إنه عصر الحداثة والتجديد.

[1] سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث (الشعر)، عمان، 2013، دار المسيرة، ص 19.

[2] جلال عبد الله خلف، رمز في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد الثاني وخمسون، 2011، ص 2.

إن الشاعر العربي حاول أن يتخلص من قيود القصيدة العربية القديمة، التي كانت عائقا أمام حريته قيدته بشكلها وأسلوبها وبكل ما احتوته، فكان عليه شحنها بثقافات أجنبية للحصول على شكل جديد، فشبت ثورة على كل ما هو قديم على أيادي الشعراء العراقيين "نازك، السياب....."، تأثرا بالشعر الإنجليزي، كانت في شكلها الأول تمثل تخلصا من رتابة القافية الواحدة (دون الاستغناء عنها تماما)، وتنويعا في عدد التفعيلات في السطر الواحد، وقد تميزت هذه الحركة عن كل ما سبقها أن اعتمادها للشكل الشعري الجديد أصبح مذهبا لا استطرافا، وإيمانها أن هذا الشكل يصلح دون سواه للتعبير عن التجربة الإنسانية إذا أريد التعبير عنها بالشعر.[1]

ولم تقف الثورة على الشكل عند تهشيم العمود الشعري واستبداله بالتفعيلة كوحدة بدلا من البحر الخليلي، ولم تتوقف موسيقى الشعر على الموسيقى المنبعثة من الوزن والقافية بل اتسع المجال ودخل إلى الشعر تقنيات فنية جديدة تجاوزت مجرد التفعيلة، وصارت موسيقى الشعر وإيقاعه أكثر تعقيدا أو أبعد عمقا، فمن التفعيلة الواحدة في القصيدة إلى توزيع التفعيلات فيها على مستوى المقاطع (تتغير التفعيلة مع تغير المقطع) وفق نظام تفرضه التجربة الشعورية في القصيدة، ودخل التكرار كعنصر جمالي في الإيقاع، والبنية الدراسية للقصيدة، وكذلك التضمين الذي صار بمثابة الصدمة، فكان التغير جذريا حتى أنه اجتاح المفاهيم الأساسية للشعر التقليدي.[2]

ولعل نازك الملائكة لها الأسبقية في خلق الشكل الجديد للشعر أو ما يعرف بالشعر الحر، وكشفت عن هذا في مقدمة ديوانها "شظايا ورماد" سنة 1949، ويبدو أن هذه المقدمة وجدت للتيار الشعري الجديد مسوغاته الفكرية، ولافت للنظر أن نازك حين شاءت أن تبرر ضرورة التحرر من قيود الشعر القديم ربطت ذلك بفكرتي "الإيحاء والإبهام" واتمت اللغة العربية بعدم اكتسابها القوة الإيحائية[3]، إذا فموجة التغيير لم تلامس القصيدة شكلا فقط بل تسللت إلى جوهرها واستطاعت بقبضتها أن تخنق السهولة والبساطة في التعبير، لتنبض على إثرها لغة رمزية، إيحائية وإشارية، فالشعر الجديد يتعامل مع اللغة تعاملا خاصا، كما يتعامل مع ظواهر الحياة بنفس المنهج، لأن الشعراء المعاصرين أدركوا أن الكشف عن جوانب الحياة يتطلب بالضرورة الكشف عن لغة جديدة، فليس منطقيا لغة قديمة تعبر عن ما هو جديد فلكل تجربة لغتها، وأيقنوا أن التجربة الجديدة ليست إلا لغة جديدة، أو منهجا في التعامل مع اللغة وهنا يظهر الفارق بين لغة الشعر القديمة ولغة عصرنا.[4]

---

[1] إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الكويت، دار المعرفة، ص 174 بتصرف.

[2] رمضان الصباغ، جماليات الشعر العربي المعاصر، الإسكندرية، ط1، دار الوفاء، ص 6.

[3] المرجع نفسه، ص 15.

[4] عز الدين اسماعيل، الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنية، ط3، دار الفكر العربي، ص 174 بتصرف.

وكيف لا يكون تمايزا بين اللغتين، فلا يمكن أن نعبر بلغة قديمة في عصر يبحث عن كل ما هو جديد، وبما أن طبيعة الإنسان ميالة للغموض والإبهام، فقد أكثر الشعراء المعاصرون من استعمال الرمز فعندما يستخدم الشاعر كلمة "القهر" مثلا فعليها أن تحمل بعدا دلاليا لينقل تجربته الحسية التي يعالجها[1]، فمهما تكون الرموز التي يستخدمها شاربة بجذورها من التاريخ... لابد أن تكون مرتبطة بالحاضر لتزيد من إثراء القصيدة ورغم بساطة الكلمة المستعملة يجعلها تكسب أبعادا وأغوارا لم تكن متوفرة فيها، فالشاعر حين يستخدم الرمز لا يستخدمه بمفهومه المذهبي، بل يستخدمه في الأساس كمحاولة لاقتناص حقائق عجزت اللغو عن التعبير عنها مباشرة، محاولا إكساب قصيدته الشعرية السمو الفني وإبعادها عن السطحية[2]، وبهذا أصبح الرمز من أهم الظواهر الفنية التي تقوم عليها القصيدة المعاصرة.

من الشعراء الذين وجدوا في لجوئهم للشعر الحر عامة وفي الرمز خاصة حضن دافئ للتعبير عن ما يجول في خاطرهم الشاعر نزار القباني شاعر الحب والوطن، في بيت دمشقي قديم بحي (مئذنة الشحم)، ولد نزار القباني في الحادي والعشرين من شهر مارس عام 1923، ولد في ربيع من فصول السنة، ويؤرخ لنا نزار نفسه فيذكر أنه ولد مع تباشير الربيع الطلق الذي فيه تثور الأرض على نفسها، وترمي فيه الأشجار كل أثوابها، وهو الثاني بين أربعة صبيان وبنتين "معتز، رشيد، صباح، هيفاء، ووصال"، أبوه توفيق تاجر دمشقي صاحب معمل حلويات، ورث عنه ميولا للشعر، كما ورث عن عمه "أبو الخليل القباني" عشقا للفن بمختلف أشكاله التي تمثلت في مسرحه الطليعي بدمشق.

أما أمه فدمشقية، اسمها "فايزة"ويأتي حديثه عنها بوصفه طفلها المدلل، فكانت تعطيه من غير حساب، وتعده ولدها المفضل، لذا نجده يتعلق بها طوال حياته ولا يجد لها مثيل[3]، فيقول:

ولم أعثر
على امرأة تمشط شعري الأشقر
وتحمل في حقيبتها
إلي عرائس السكر
وتكسوني إذ أعرى
وتنشلني إذا أعثر[4]

[1] عز الدين اسماعيل، مرجع سابق، ص 197 بتصرف.

[2] محمد كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي)، دار الكتاب الجديد، ص 59.

[3] سامي أبو زيد، مرجع سابق، ص 322.

[4] نزار القباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج2، ص 8.

عني في صباه بحب الموسيقى والرسم تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في كلية علمية وطنية بدمشق التي حاز فيها على شهادة البكالوريا القسم الأدبي عام 1941، ثم انتقل إلى مدرسة التجهيز ليحصل في السنة الموالية على شهادة البكالوريا في قسم الفلسفة وتتلمذ فيها على يد الخليل "مردم بك" الذي حدد مصيره الشعري، يقول عنه: "ربطني بالشعر منذ اللحظة الأولى..... وإني أدين له بهذا المخزون الشعري الراقي".

تهيأت الظروف لنزار ليشرع في كتابة محاولاته الشعرية، فكانت أول محاولة له في عام 1939 وهو ابن السادس عشرة، كان في رحلة مدرسية إلى روما، حيث كتب أول قصيدة شعرية في الحنين إلى بلاده، فكان 15 أغسطس 1939 من ذلك العام تاريخا لميلاد الشاعر ، وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية أتم دراسته الجامعية بكلية الحقوق بدمشق، ونشر خلالها ديوانه الأول "قالت لي السمراء" عام 1944، الذي أثار جدلا في الجامعة فقد كان بمثابة انقلاب على المفاهيم الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي والسوري حيث كسر القواعد المتحفظة والخجل وتخرج منها عام 1945.[1]

فجع نزار بمآس عديدة، انتحرت أخته وصال بسبب عدم قدرتها على الزواج بمن تحب سنة 1938، وقد ترك رحيلها جرحا غائرا في نفس الشاعر، وتوفي ابنه "توفيق" سنة 1973، أثناء عملية جراحية فرثاه بقصيدة عنوانها "إلى الأمير الدمشقي توفيق القباني" التي تعد أصدق مراثيه، ومات نصفه الثاني زوجته "بلقيس الرواي" في حادث تفجير إرهابي في بيروت سنة 1981 إبان الحرب الأهلية اللبنانية، وقد رثاها في مطولة شعرية باسمها أشاد فيها بالحبيبة الشهيدة.[2]

شغلت المرأة حيزا كبيرا في شعر نزار القباني حتى لقب بـ "شاعر المرأة" والبعض سماه "شاعر الحب" تحدث في شعره عن كل التفاصيل المتعلقة بالمرأة ملابسها زينتها حركاتها قلم حمرتها، اعتنى بكل تفاصيلها، مما يصح أن نقول عليه أنه كان يبعثر المرأة لا يلمها في خلق سوي، لأن كل عنصر منها كان يحميه من المرأة المكتملة، إذ كان يجد فيه صورة قصيدة ثم يحولها دون ريب إلى قصيدة جميلة[3]، لم يصب نزار القباني اهتمامه فقط بالجانب الشكلي للمرأة بل انتقل للحديث عن مشكلاتها، فانتقل بذلك من أن يكون جماليا إلى أن يكون سيكولوجيا، ماذا تقول امرأة اكتشفت خيانة صاحبها حين جاءت لزيارته قصيدة "رسالة امرأة حاقدة"، وماذا تقول امرأة حين تحمل والرجل المسؤول عن

[1] بوهرر حبيب، هادي نهر، تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار، ط1، عالم الكتب الحديث، ينظر جدار للكتاب العالمي، 2008، ص 155.

[2] سامي أبو زيد، مرجع سابق، ص 333.

[3] بوهرر حبيب، هادي نهر، مرجع سابق، ص 218.

ذلك يدير ظهره لها قصيدة "حبلى"[1]، وفي قصائد أخرى يمزج الحب بالقضايا الاجتماعية من بينها تحريض المرأة على واقعها المؤلم إذا غدت في نظره مجرد وليمة.

ثوري، أحبك أن تثوري...

ثوري على شرق السبايا... والتكايا... والبخور

ثوري على التاريخ، انتصري على الوهم الكبير

لا ترهبي أحد، فإن الشمس مقبرة النسور

ثوري على شرق يراك وليمة فوق السرير[2]

تحدث نزار عن الحب والمرأة مستغلا طواعية اللغة الشعرية التي مرن قلمه عليها وظل يغير المواقف فحينا يتحدث الشاعر عن المحب وحينا عن المرأة المحبوبة، وظل الحب بمعنى رؤية الجمال وضرورة الصراع في الحياة والمشاعر هو الملاذ الأخير، لأنه وحده رابطة الحياة.[3]

إن مفهوم الشعر عند نزار القباني لا يقف على الشكل وفقط بل يتجاوز مفهومه إلى أشياء أخرى وتبرز فيها النظرة الخاصة له عن الشعر، فيقول الشعر رقي اللغة تحمي بكل أجزاء النفس وبكل خصلاته الواعية واللاواعية، وبكل طبقاتها الظاهرة والمستترة وكل الأحلام الممكنة وغير الممكنة وبكل نبوءاتها المعقولة وغير المعقولة.[4]

أما بخصوص موقفه من التحرر والشكل الجديد في الشعر فيقول: (كنت دائما أشبه القافية بالإشارة الحمراء التي تفاجئ السائق وتضطره إلى تخفيف السرعة أو التوقف النهائي.... وهذا لا يعني أننا نطالب بإسقاط القافية أو إلغائها وإنما نرى أن تكون القافية موقفا اختياريا...)[5]

عاش سنواته الأخيرة في لندن وحيدا، وبدأت تتشكل ملامح البعد القومي والسياسي في قصائده كقصيدة "متى يعلنون وفاة العرب"، وقصيدة "خبز وحشيش وقمر" و "أم كلثوم على قائمة التطبيع" في سنة 1997 التي كانت بمثابة دليل بارز على ذلك التحول المهم الذي طرأ في شعره فمن الحب إلى السياسة، وقد سلط الضوء في هذه القصائد على عيوب المجتمع العربي وتناقضاته.[6]

---

[1] إحسان عباس، مرجع سابق، ص 140.

[2] نزار القباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص 573.

[3] إحسان عباس، مرجع سابق، ص 143.

[4] نزار القباني، ما هو الشعر، بيروت، ط2، ص 28.

[5] المرجع نفسه، ص 124.

[6] المرجع نفسه، ص 144.

توفي نزار القباني في الثلاثين من أبريل سنة 1998، إثر إصابته بأزمة قلبية ودفن في مسقط رأسه دمشق[1]، ونذكر من بعض أعماله الشعرية:

- طفولة النهد 1948
- أنت لي 1952
- سامبا 1949
- حبيبتي 1961
- الرسم بالكلمات 1966
- يوميات امرأة لا مبالية 1968
- قصائد متوحشة 1970
- كتاب الحب 1970[2]

ومن بعض مخلفاته النثرية ما يلي:

- الشعر قنديل أخضر 1963
- قصتي مع الشعر 1970
- المرأة في شعري وحياتي 1975
- ما هو الشعر 1981
- لعبت بإتقان وها هي مفاتيحي 1990
- بيروت حرية لا تشيخ 1992
- إضاءات 1998
- دمشق نزارالقباني 1999[3]

مميزات القصيدة المعاصرة:

* التجربة الجمالية للشعر المعاصر، وهي التجربة الماثلة في حركة التجديد الأخيرة بعامة وفي هذا الصدد ونقول بإيجاز أن الفلسفة الجمالية لهذا الشعر تختلف اختلافا جوهريا عن الفلسفة القديمة، وذلك في أنها تنبع من صميم طبيعة العمل الفني وليست من مبادئ الخارجية المفروضة، فالشعر المعاصر يصنع لنفسه جمالياته الخاصة فيما يتعلق بالشكل والمضمون وهذا كله تأثرا بحساسية العصر وذوقه.

[1] سامي أبو زيد، مرجع سابق، ص 384.
[2] بوهرر حبيب، هادي نهر، مرجع سابق، ص 223.
[3] المرجع نفسه، ص 223.

* تكامل ثقافة العصر وانعكاسها في الشعر المعاصر لأنه محاولة لاستيعاب الثقافة الإنسانية عامة وبلورتها وتحديد موقف الإنسان المعاصر.

* الخبرة الفنية، الذي لم يتحقق على هذا النحو في أي عصر مضى، وليس من الطبيعي تناول مضامين جديدة بخبرات فنية قديمة، فالخبرة تفرض إطارها وتختاره.

* ارتباط الشعر بالإطار الحضاري العام لعصرنا في مستوياته الثقافية والاجتماعية والسياسية المختلفة، وهذا الارتباط ليس جديدا، فقد كان الشعر دائما معبرا عن روح الإطار الحضاري المتميز في كل عصر ومن ثم يعد كل عصري بالمقياس إلى عصره.[1]

وبهذا كله استطاع هذا العصر أن يكون نفسه أدبيا، وأن يكون عصرا مميزا، حمل معه ريحا هبت على كل ما هو قديم، وخلق من رحمه أعلاما سخرت أقلامها لخدمته، تمكنوا من جعل اللغة مواكبة لتجربتهم الشعرية الجديدة بمقومات مبتكرة.

يعتبر الرمز أهم مكون للغة العصر، إن لم نقل أنه لغة العصر بذاتها إذ لم تخلوا أي قصيدة من استعماله، وأحسنوا استغلاله ليخدم غاياتهم في بلوغ الإتقان الفني والقدرة على الإيصال والتأثير في نفس المتلقية، لأن الرمز يحتوي على لمسة الإثارة فهو تعمق في المعنى الشعري ومصدر الانبهار والاندهاش وتجسيد لجماليات الشكل الشعري ويساهم في الارتقاء بشعرية القصيدة.

[1] إحسان عباس، مرجع سابق.

الفصل الأول:

ماهية الرمز

*لغة واصطلاحا

*انواع الرموز

*وظيفة الرمز

ماهية الرمز:

. التعريف

-لغة و اصطلاحا:

جاء الرمز في معجم لسان العرب هو "التصويت الخفي باللسان كالهمس وقيل إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، ولكل ما استشرق إليه مما بيان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بالعين، بمعنى أن الرمز يعتمد على إشارات وإشارات سواء كانت بالحاجبين أو الفم أو العينين...[1]

قد ورد لفظ الرمز في القرآن الكريم في قصة سيدنا زكريا عليه السلام في قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾[2]

ويعرفه بعضهم تعريفا شاملا بقوله: "هو جماع لحظة تاريخية فريدة مستقلة بطابع زماني موسوم بالمفارقة".[3]

يعد مصطلح الرمز من المصطلحات التي عرفتها العلوم النظرية قديما[4] "يتضمن المنطق والبلاغة ونظرية المعرفة فأفلاطون يرى أسن المسميات ترمز إلى الأشياء، والحقيقة وراء المحسوسات، فما يراه في هذا العالم ليس سوى انعكاس لعالم الصورة الخالصة كما يوضحه في تشبيهه الرمزي للأشباح على الحائط...

أما في المفهوم العربي للرمز وهذا ما نراه عند ابن الرشيق الذي يعد من أوائل الذين أشاروا إلى الرمز[5]، وأصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم...فقد يجمع الرمز الغموض ويتطلب من القارئ فهم وكشف المعاني الخفية.

كما أشار الجاحظ بدوره إلى مضمون الرمز وأطلق عليه اسم الدلالة وعن الإشارة يقول: "أما الإشارة فباليد أو بالرأس والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف وقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زاجرا ومانعا ورادعا ويكون وعيدا وتحذيرا، والإشارة واللفظ ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه...".[6]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت.

2 سورة آل عمران ، الآية 41

[3] عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1683، ص 114.

[4] مسعد بن عبد العطوي، الرمز في الشعر السعودي، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1993، ص 11.

[5] ابن رشيق، العمدة، ج1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1981، ص 306.

[6] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 51-52.

- وقد قال شاعر في دلالات الإشارة:

أشارت بطرف العين خِفْيَةَ أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

والإشارات التي أوردها الجاحظ سواء أكانت أقولا أم بيانا فهي تمثل الرمز في صورته البسيطة.

و يعرفه عز الدين اسماعيل أن الرمز اللغوي نفسه الرمز الاصطلاحي تشير فيه الكلمة إلى موضوع معين إشارة مباشرة كما نشير كلمة باب إلى الشيء الذي اصطلحنا على الإشارة إليه بهذه الكلمة[1] .

من الملاحظ أن أغلب الدراسات العربية المعاصرة تقترب في تعاملها مع هذه الوسيلة مع المفهوم الغربي حيث أكد أحد الباحثين: "أن الرمز هو أسلوب من أساليب التعبير لا يقابل المعنى ولا الحقيقة وجها لوجه، إنه تعريف يتميز بالشمولية عكس ما نلمسه عند غيره من الباحثين..."[2].

أنواع الرمز:

1- الرمز الصوفي:

إن التصوف كمصدر ورمز يعد من أهم الاتجاهات في الشعر العربي الحديث فهو من بين الخطابات التي عبر من خلالها الشعراء عن جملة من الأفكار والقيم التي أفرزها المجتمع المعاصر نتيجة عوامل أهمها: الصراع بين الحاكم والمحكوم، وظاهرة الاغتراب وكان شعراء الصوفية متأثرين بالشعراء وخاصة الحلاج الذي أشار إليه "ماسينون"[3] في تعليقاته عن شعره إلى بعض مظاهر التشابه فيها مع غيره من الشعراء كبشار بن جرد وأبي العتاهية وأبي نواس، ومن الرموز التي اعتمدها الحلاج رمز الخمرة التي تدل على السكر في محبة الله كما يقدمها في قصيدة "الكأس" من ديوان "الأحجاب الفوارة":

° آلا يا خليلي ناولني الكأس فإن عظامي

° تشكو ظمأ قتالا. ناولني الكأس فإن عظامي

° تمخر أدغال رمادي ناولنيها... قد

° ينفذ ما بقراراتها الكأس

من هنا نشير أن جل الشعراء المعاصرين قد برز تأثرهم بالتجربة الصوفية من خلال توظيفهم الرمز والأقنعة الصوفية وقد استخدموها كإطار للبوح والأفعاء والدخول من خلالها على قضايا

[1] عز الدين اسماعيل ،مرجع سابق ص 197

[2] عبد الكريم اليافي، دراسة فنية في الأدب العربي، ط1، 1963، ص 271.

[3] السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر...، ط2، 1429-2008، ص 81.

المجتمع، وقد جمع الشعراء بين الخمرة والمرأة فكل واحدة منهما تكمل الأخرى، وهنا نجد تقاطعهم مع الشعراء الجاهليين، ومن بين الشعراء الذين اشتهروا بالحديث عنها ودار في شعرهم وصف كؤوسها ودنائها وحدائقها ومجالسها: أعشى قيس، وعدي بن زيد الحميري.[1]

وهذا التقاطع نلمسه في الشعر الجاهلي لامرئ القيس والشاعر الصوفي ابن فارض في تجسيدهما للحب والحنين.

مطلع معلقة امرئ القيس "طويل":

° قفا نبك على ذكرى حبيب ومنزلة بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وثانية ابن فارض ومطلعها "طويل":

° أرعا البعد لم يخطر سواكم على بالي وعن قربة الأخطار من جسدي البالي

2- الرمز الأسطوري:

سبب الضغوطات النفسية والاجتماعية والظروف السياسية والاجتماعية الخانقة، أصبح الرمز هو السبيل الوحيد للتعبير عن الأفكار والآراء وهذا ما نجده عند شعراء الحداثة الذين استلهموا من الأسطورة وشخصياتها وأحداثهم ويسقطون عليها تجاربهم للدفاع عن آراءهم، حيث لجأ الشاعر إلى الحيل المعروفة كالاستناد على إحدى الركائز الأسطورية والتاريخية حيث توجد بعض الشخصيات والأحداث والمواقف الجاهزة للتجسيد الشعري، وليست جاهزة تماما بالطبع وإنما تكون مهيئة للقيام بدورها الشعري أكثر من غيرها.[2]

ومن أهم الركائز الأسطورية نجد شخصيات أهمهم: سندباد – سيزيف – تموز – عشتار.

فالسياب مثلا كان من أهم الحالمين بالثورة والمتعطشين إليها لم يجد ما كان يأمله في ثورة "قاسم" بالعراق فما كان منه إلا الاستمرار في المقاومة على طريقته الفنية الخاصة أي عن طريق استخدام الرمز الأسطوري، وهذا ما نلمسه في قصيدة "سربوس في بابل":

وأقبلت آلهة الحصاد

رفيقة الزهور والمياه والطيور

تسير في السهول والوهاد

تلفظ منها لحم تموز إذا نشر

تلمه في سلة كأنه الثمر

لكن سربوس بابل الجحيم

[1] عاطف جودة نصر، مرجع سابق، ص 328.

[2] محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ط1، 2003، ص 170.

نجده هنا يستحضر الأسطورة القديمة "سربوس– تموز" فأدونيس أو تموز ذلك الإله الخيّر المعطاء لم يعد يحمل قطافه ومياهه، فتموز في هذه القصيدة يمثل البعد الاجتماعي ويرمز إلى العراقيين وسربوس يمثل الديكتاتورية.

3- الرمز الديني:

قد استلهم الشعراء المحدثون واستقوا ورجعوا إلى المنابع الأصيلة ولجأوا إلى الأساطير اليونانية والبابلية والفرعونية وإلى الكتب المقدسة فنهلوا منها وجعلوها سبيلا فنيا للتعبير عن خواطرهم ونفوسهم، وقد زودتهم القرآن والتوراة والإنجيل بموضوعات وتجارب جاهزة ينطلقون من خلالها للتطرق إلى المفاهيم التي يودون تبسطها والأفكار التي يناشدون لعرضها.

وفي هذا الصدد يقول "عاطف جودة ناصر" ينبغي أن نعترف بصعوبة الفصل بين الأسطورة والدين، فليس من السهل أبدا أن نقرر أيهما أسبق ظهورا حيث انبثقت الأسطورة مغلفة بالدين، كما نشأ الدين ملفوفا بطابع أسطوري.[1]

ومن الشعراء المحدثين الذين أجادوا في هذا النوع "السياب" الذي تظهر الأسطورة في قصائده بصورة صريحة ومباشرة وغير مباشرة، وبعضها يعود إلى الدين الإسلامي والدين المسيحي، ففي قصيدته "أمام باب الله" يتوجه الشاعر إلى الخالق وتتميز هذه القصيدة بعمق دلالاتها وقوة إيحائها.

° منطرحا أمام بابك الكبير أخرج في الظلام أستخير

° يا رعي النمال في الرمال وسامع الحصاة في قرارات الغدير

° أصيح كالرعود في مغاور الجبل كآهة الهجير

° أتسمع النداء؟ يا بوركت تسمع

° وهل تجيب إن سمعت؟

° صائد الرجال وساحق النساء أنت

° يا مقجع يا مهلك العباد بالرجوم والزلازل يا موحش المنازل

° منطرحا أمام بابك الكبير

° أحسن بانكسارة الظنون في الضمير

° أثور؟ أعجب؟[2]

تعد هذه القصيدة من قصائده المستلهمة من الدين الإسلامي، أما من الجانب الثاني المسيحي فنجد عنده عدة قصائد "رؤيا في عام 1956"، قصيدة "المسيح بعد الصلب".

[1] جودة ناصر عاطف، مرجع سابق، ص 31.

[2] بدر شاكر السياب، ديوان السياب 1971، ج1، ص 135-136.

وتعد أيضا قصيدة "حدائق وفيقة" التي صور فيها مرارة الحب و معانات الفقد فيقول :

لوفيقة

في ظلال العالم السفلي حقل

فيه مما يزرع الموتى حديقة

يلتقي في جوها صبح وليل

وخيال وحقيقة

تنعس الأنهار فيها وهي تجري

مثقلات بالظلال

كسلال من ثمار كدوال

كل نهر شرفة خضراء في دنيا سحيقة

و وفيقة

تتمطى في سرير من شعاع قمر

زئبقي أخضر[1]

ومن هذه القصيدة نجد الشاعر يعالج قضية الانبعاث التي تعالجها أغلبية الأديان ومن هذا المنطلق تقول "ريتا عوض" القرآن قد أعاد تأكيد نموذج الانبعاث الهاجع في اللاوعي الإنساني خصوصا في سورة الكهف والشروح التي تناولتها حيث تكررت أسطورة الموت والانبعاث ورموزها وتأكدت غلبة الحياة على الموت.[2]

4- الرمز التاريخي:

لقد أخذ هذا الرمز حيز ومكان في الشعر العربي الحديث ومن أهم الشعراء الذين أبدعوا ووضعوا هذا الرمز نجد الشعراء الجزائريين، فقد ظل من الرمز يحيا في نصوصهم وتعددت دلالاته، فنجد مثلا الرمز التاريخي المرتبط بالمكان الذي لديه مدلول نفسي "الأوراس"، هذا الرمز الذي شغل حيزا كبيرا في المتن الشعري فلقد تغنى الناس بضرورة هذا الجبل الذي انطلقت منه الثورة الجزائرية "معقل الثورة"، وبمآثره وأمجاده وكبريائه وصموده وعظمته وشموخه، فيقول "عمار بو الدهان":

إنه الأوراس

ألقى كل بركان دفين

يتحدى

[1] بدر شاكر السياب، ديوان دار العودة، بيروت، ج1، ص 125-126.

[2] ريتا عوض، أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث المؤسس للدراسات، بيروت، 1978، ص 52.

ظلمات الدهر مرفوع الجبين

يتحدى الموت والعصر

وآلاف السنين

صامدا كالقمة السماء

كالصخر المتين[1]

فهنا الشاعر يستعمل جبل الأوراس كرمز للشموخ والعظمة، التحدي والمواجهة والصمود وكل هذه الصفات موجودة في الشعب الجزائري الأبي الذي كافح من أجل تحرير أرضه والحفاظ على شموخه وعرضه، يحافظ الشاعر على حدود العلاقة الثنائية التي يقيمها مع هذا الرمز الحقيقي الذي تذوب فيه العلاقة ذات البعدين أو أكثر في وحدة دلالية احتمالية تنفجر إيحاء متجددا وظلالا كثيفة.[2]

فكلما ذكر "الأوراس" تبادر إلى الذهن معنى البطولة والتضحية والفداء ومن هنا نجد الشعراء دائما يقرنون الأوراس بالبطولة والأبطال وبالجهاد والنضال، وهذا شيء طبيعي فقيمة الأوراس تكمن في معاني البطولة وروعة القتال من أجل المبدأ وتحرير الأرض والإنسان.[3]

فالرمز التاريخي يعبر عن الأصالة والتراث، وكان عز الدين ميهوبي من أكثر الشعراء من وظف هذا الرمز.

وظيفة الرمز الشعري:

يستعمل الرمز للكشف عن تجربة وجدانية وللتعبير عن مشاعر مبهمة وأحلام خفية عميقة لا تستطيع اللغة العادية التعبير عنها، فهو أفضل سبيل لبث موقف ذاتي يكون من المستحيل عنه بالكلام اليومي المعتاد ولعل الحقيقة متضمنة فيما ذهب إليه "جون موراس" من اعتقاد بأن الشعر الرمزي يعمل على إكساء الفكرة شكلا من الأشكال المحسوسة على أن ذلك لا يعد هدف الشعر حد ذاته، فإن للرمز وظيفة أخرى أكثر ارتباطا بالبيئة الثقافية والأخلاقية للشاعر يمكن أن نطلق عليها:

1/ وظيفة إيديولوجية: حيث يكون الشاعر عامدا إلى التعبير عن فكر انتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية ففي هذه الأحوال تكمن وظيفة الرمز في اختفاء سمة الغموض والتعقيد على النص الشعري بما يفسح المجال الواسع لتعمق دلالات التباين كالرموز الأسطورية والرموز الدينية والتراثية

[1] عمار بو الدهان، معزوفة الظمأ، ص 39.

[2] إبراهيم رماني، أسئلة الكتابة النقدية، ص 109.

[3] عبد الله الرعيبي، الأوراس في الشعر العربي، الجزائر، 1982، ص 15.

أي أن السبب الكامن وراء هذا النمط من الرموز هو الخشية من التصريح الذي قد يجر إلى التعرض للأذى.[1]

2/ الرمز ذا صلة عميقة بالتفكير الشعبي: كما يقول فرويد فهو ماثل في الأغاني الشعبية والأساطير والروايات المتوارثة وفي تعابير الدارجة والحكم المأثورة.[2]

اعتماد معظم الباحثين على الرموز التراثية ذات صدى عميق في دواخل المجتمع وفي عاداته وتقاليده، فهي انعكاس على سطح حياتهم المعيشية لتكون مرآة صادقة تحمل في طياتها عديد الدلالات.

3/ البعد الجمالي:فلا يخلو الرمز من الأهمية الجمالية التي تتمتع بأهمية كبرى في العمل الإبداعي الشعري وتختلف تلك الوظيفة في طبيعتها عن الأشكال البلاغية كالمجازات والاستعارات والتشبيهات وإنها ليست وسيلة للتجسيد والتصوير، بل وسيلة للإيحاء بالمضمون العاطفي والفكري الكامن خلف اللفظ المستعمل بوصفه رمز.[3]

"تأتى بعض تلك الرموز بقيمتها الدلالية حاملة إشارات جمالية تعكس طبيعة الصورة الفنية ونظامها".

4/ الرمز وسيلة للتخفي: يقول "أرنولد هوسر" في كتابه "فلسفة تاريخ الفن" لمن العسر أن تزعم أن الهدف من الرمز والقول بأن الفنان يتخذ من الرموز وسيلة للإخفاء والمراوغة.

الرمز هو وسيلة للهروب من الواقع لظروف سواء أكانت سياسية أو عقائدية أو اجتماعية وهو وسيلة للتستر فيستعملها المبدع ليخفي ما يؤمن به وما يفكر فيه فيبسط فكرته في رمز.[4]

---

[1] درويش الجندي، الرمز في ألأدب العربي، ص 463.

[2] فرويد، تغير الأحلام، ترجمة مصطفى حفران، ص 358.

[3] شعرية النص عند الجواهري "الإيقاع والمضمون واللغة".

[4] أرنولد هوسر، فلسفة تاريخ الفن، ترجمة رمزي عبده بدوي، جامعة القاهرة، 1968، ص 57.

الفصل الثاني:

تجليات الرمز في قصائد نزار القباني

*دراسة تحليلية لقصيدة منشورات فدائية على جدران اسرائيل

*دراسة تحليلية لقصيدة بلقيس

*دراسة تحليلية لقصيدة القدس

° دراسة في قصيدة منشورات فدائية على جدران "إسرائيل":

يتناول الشاعر في قصيدته "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" القضية الفلسطينية، ففلسطين ملهمة الأدباء بما خصها الله عز وجل، ومن كونها أرض مقدسة وستبقى وعد المؤمنين بالنصر المبين وسيظل أهلها في حمل الرسالة، ولواء الجهاد ويطلق على هذا النوع من الشعر الشعر الثوري أو الشعر القومي، إن هذا الشعر يمثل حمما يلفظها الشعب على أعداءه، وصخرة تشق أعداء الثورة، وهو من أنصح أشكال الشعر في الوطن العربي نظرا لطول فترة الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين.[1]

لن تجعلوا من شعبنا
شعب الهنود الحمر
فنحن باقون هنا...
في هذه الأرض التي تلبس في معصمها
إسوارة من زهر
فهذه بلادنا
فيها وجدنا من الفجر[2]

يستفتح الشاعر قصيدته بالرفض التام والقطعي لفكرة التبعية أي أن فلسطين صارت أرض صهيونية وتابعة للعدو الإسرائيلي، فالأرض أرض فلسطينية وهي لأهل فلسطين وستبقى لفلسطين مهما طال الزمن، ففي قوله: "لن تجعلوا من شعبنا شعب الهنود الحمر" إشارة إلى عدم وجود أي مجال للمقارنة بين "الشعب الفلسطيني" و "الشعب الهندي"، فكلمة "الهنود الحمر" جاءت رمزا يحمل دلالة "التهميش"، الهنود الحمر هو سكان أمريكا إلا أن هذه الأخيرة لا تعترف بهم وكأنهم غير موجودين، أما حال الصهاينة والفلسطينيين مختلف تماما لأن الفلسطينيين هم أصحاب هذه الأرض والصهاينة هم المعتدون عليها فلا وجه للمقارنة[3]، كما يؤكد بكلمة "باقون" على مدى تمسك الشعب الفلسطيني بأرضه ومدى التصاقه بها، وجاء هنا الرمز تاريخيا ليذكرنا بتاريخ الهنود مع أمريكا.

---

[1] عهد عيساوي، البنية الإيقاعية في قصيدة منشورات فدائية على جدران إسرائيل لنزار القباني، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في علوم اللسان، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، ص 93.

[2] نزار القباني، القصائد السياسية (مختارات)، ص 90.

[3] المرجع نفسه، ص 90.

حملت كلمة "الأرض" بعدا رمزيا يحمل معنى "الملكية"، فهي الوطن والأم الحبيبة التي يرخص لها الغالي والنفيس، فمهما حاول العدو أن ينتشل هذه الأرض وينسبها لنفسه فهناك حقيقة واحدة أنها أرض فلسطينية وتصنف "الأرض" على أنها من الرموز الطبيعية.[1]

لم يخلو هذا المقطع من نبرة التحدي والإصرار على أن هذه الأرض أرض فلسطينية، فبالرغم م نكستها وجروحها إلا أنها أرض مقدسة يزين معصمها أمل يحمل معه غدا جميل وأزهار تتفتح من جروحها حاملة معها كل معاني النصر.

باقون كالحفر في صلبانها

باقون فيفي نبيها الكريم في قرآنها

وفي الوصايا العشر[2]

استعان نزار القباني برموز دينية في هذا المقطع "صلبانها" رمز الديانة المسيحية ونبيها الكريم "الإسلام" و "الوصايا العشر" وكل هذه العبارات اجتمعت لتدل على أن فلسطين مهبط جميع الرسالات السماوية، ونلاحظ هنا أيضا استخدام لشخصية النبي عليه الصلاة والسلام، رمزا للثورة ضد الظلم والاستعباد، فهو يحمل لواء النضال في سبيل الحق، فهي صحوة معاصرة تمتد جذورها إلى صحوة التراث التي قادها النبي صلى الله عليه وسلم ضد الوثنية والضلال، ومن ثم تتلاقى مع الصحوة المعاصرة ويجمعها التمسك بالأرض والعقيدة.[3]

نجد الشاعر يوظف رموزا تاريخية في قصيدته، تمثلت في شخصيات الخلفاء والقادة العظام إذا هم يمثلون الوجه المضيء لتاريخنا سواء بما حققوه من انتصارات وفتوحات، أو بما أرسوه من دعائم والعدل والديمقراطية، وكذلك من صنعوا مجد الدولة الإسلامية وأرسوا دعائم الحق فيها باتساع رقعتها ونشر ألويتها في أرجاء الأرض.[4]

يستلهم الشاعر شخصيتين من قادة العرب الذين قادوا الجيوش في مشارق الأرض ومغاربها وحققوا انتصارات مجيدة وهما خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، ويأتي بهما لتصوير مدى استعداد هذه الأمة لأن تنجب قيادات وقوى نضالية قادرة على استرداد فلسطين وصنع الانتصارات على اليهود، فيقول:

---

[1] نزار القباني، القصائد السياسية (مختارات)، ص 90.

[2] مرجع نفسه.

[3] ياسر عكاشة حامد مصطفى، فلسطين في شعر نزار القباني، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، بنات الزقاق، ص 98.

[4] المرجع نفسه، ص 107.

لا تسكروا بالنصر
لذا قتلتم خالدا
فسوف يأتي عمرو
وإن سحقتم وردة
فسوف يبقى العطر[1]

فخالد وعمرو رمزان للقوى القادرة على النصر في هذه الأمة، التي تمثلها في صورتها أولئك الفدائيون الذين يدفعون حياتهم ثمنا لحملة النصر المرجوة، ولا شك أن هذه الاستعارة قد أعطت لذا اليقين بالنصر لونا من الرسوخ والتحقيق

عن طريق إعطائه هذا البعد التاريخي الذي يقوم شاهدا على صدق هذا اليقين، وفي الوقت نفسه هانت عاطفة الشاعر من أن تتحول إلى غنائية صارخة وأضفت عليها شيئا من الموضوعية بإعطائها معادلها الموضوعي، ولا شك أن الأبيات التي لا تتجاوز ثلاثة أبيات هو الذي أتاح الفرصة لدلالة الشخصيتين التراثيتين أن تبرز وتؤكد ذاتها.[2]

لأن موسى قطعت يداه
ولم يعد يتقن فن السحر
لأن موسى كسرت عصاه
ولم يعد بوسعه
شق مياه البحر
لأنكم لستم كأمريكا
ولسنا كالهنود الحمر
فسوف تهلكون عن آخركم
فوق صحاري مصر[3]

يسترجع نزار قصة بني إسرائيل مع سيدنا موسى عليه السلام بعد أن هربوا من بطش فرعون فضرب سيدنا موسى البحر بعصاه فانشق البحر ونجا بنو إسرائيل من فرعون وأغرق فرعون وجنوده، لكن الشاعر يبين هذه المرة لبني إسرائيل أنه لا منجي لهم اليوم فسيدنا موسى لم يعد موجودا ليشق

[1] نزار القباني، القصائد السياسية، مرجع سابق، ص 97.
[2] ياسر عكاشة حامد مصطفى، مرجع سابق، ص 110.
[3] نزار القباني، ديوان القصائد السياسية، مرجع سابق، ص 92.

لهم مياه البحر، ونهايتهم جميعا ستكون الموت والهلاك في صحراء مصر[1]، جاءت شخصية موسى عليه السلام رمزا دينيا، يحمل دلالة رمزية مغايرة، لأن الشاعر أضاف تغيرات جذرية على المضمون الأصلي لقصة النبي عليه السلام وعصاه السحرية إذ وظفها توظيفا عكسيا.

نجد مفردات هذا النص في قوله تعالى في الآية القرآنية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اِضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾[2]، فنزار القباني يعبر من خلال موسى عليه السلام عن رجل العدوان الإسرائيلي الذي يهدف إلى أن يسلب الشعب الفلسطيني مقدساته، ويتنبأ بالهلاك لرجل العدوان وبالخلود لقوى الحق العربية في كل مظاهر الوجود في فلسطين.

يثير الشاعر بلفظة "موسى" في هذا النص إلى بني إسرائيل أو اليهود مثلما أشار بكسر العصا إلى سحقهم ومحاربتهم مصورا تقليم الفدائيين العرب لأظافر القوة الصهيونية الغاضبة، وشلهم جل طاقاتهم وقدراتهم مستخدما شخصية موسى عليه السلام رمزا لهذه القوة لأن موسى قطعت يده.[3]

إن نزار في هذه القصيدة يوحي بدلالة جديدة من غير أن يلغي جوهر الحدث هو امتلاك موسى السحر، إلا أنه أتى عليه بمعنى مجازي على سبيل الكناية عن انتهاء أسطورة بني إسرائيل بعد أن أشرقت الأرض بنور الإسلام، فلم يعد هناك معجزات تنفع ولا سحر يدفع ما قضى الله أن به أن يقع من إيراث الأرض للمسلمين وهذا الأمر ينسحب على واقع الصراع بين العرب واليهود لاسترجاع القدس المأسورة.[4]

يا آل إسرائيل لا يأخذكم الغرور
عقارب الساعة إن توقفت.. لابد أن تدور
إن اغتصاب الأرض لا يخيفنا
فالريش قد يسقط من أجنحة النسور
والعطش الطويل لا يخيفنا
فالماء يبقى دائما في باطن الصخور
هزمتم الجيوش إلا أنكم لم تهزموا الشعور

[1] وفاء بوجلال، نجاة قارة، أبعاد الرمز السياسي عند نزار القباني مختارات شعرية، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019، ص 43.

[2] سورة الشعراء، الآية 63.

[3] رعد رفعه محمد مولود، استدعاء الشخصيات الإسلامية في شعر نزار القباني، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث، العدد الخامس والأربعون، 2018، ص 99.

[4] المرجع نفسه، ص 100.

قطعتم الأشجار من رؤوسها

وظلت الجذور[1]

في هذه الأبيات حاول نزار أن يخلق الأمل في القلوب، حينما وجه خطابه للعدو الصهيوني، يتوعده مؤكدا أن هذه الحرب على ضراوتها لتؤكد أن إسرائيل مشروع قلق قابل للهزيمة، وأن انتصارات إسرائيل لا تعكس قوتها بقدر ما تعكس ضعف الحرب واستكانتهم، ولقد حاول نزار في هذا المقطع أن يؤسس وفق ثوابته الوطنية والقومية التي تنطلق من مواقفه العدائية للسلطات القمعية التي مارست دورا سلبيا ضد المجتمعات العربية، أن يزرع الأمل في الأجيال القادمة.[2]

تبرز انفعالات الشاعر بوضوح في هذه المقاطع الشعرية، فهي وعاء للحزن "قطعتم – اغتصاب" إلا أنه ولد من هذا الحزن عبارات تفيد القوى ورفع المعنويات واستخدم هذه العبارات لأنه في مقام المواجهة والمصارحة يتقدم فيه بالحجج والبراهين التي تثبت أن فلسطين للعرب وهذا ما تثبته الحقيقة الدينية والتاريخية والسياسية، فالفلسطيني قد سلبت منه أرضه، حيث أصبح غريبا فيها، وهذا ما يرفضه الشاعر وجعله يدعو إلى كسر الصمت فهو ساخط على الجيوش العربية التي انهزمت أمام إسرائيل ولم تسترد أرضها المغتصبة.[3]

استعان الشاعر نزار القباني في هذا الجزء من القصيدة بعدة رموز طبيعية حملت معها الأمل، فكلمة الماء "تدل على الاستمرارية والحياة" وذلك وفق قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[4]، فبالرغم من الاعتداء والقتل إلا أن الفلسطيني متمسك بالحياة من أجل وطنه، وكما أن "الريش" رمز للرخاء والعيش برفاهية، فاليهود ينعمون ويتمتعون بخيرات هذه الأرض إلا اقتران هذا بفعل السقوط يعني أن اليهود سيأتي عليهم يوم يسلب منهم ما سرقوه، كما أن "النسر" معروف عند العرب بأنه جبان لأنه يأكل الجيفة ولا يتكبد عناء افتراسها بالرغم من ضخامة حجمه وشموخه، فكذلك إسرائيل لا تخيفنا بقوتها وأسلحتها لأنها في باطنها جبانة، كما أن الصخرة ترمز إلى الصلابة والقوة فهي لا تكسر بسهولة وهو حال الفلسطينيين واقفون بصمود لاسترجاع أرضهم، وكلمة الجذور تدل على مدى تعلق الفلسطيني بأرضه وتمسكه بها فالشجرة إن لم تتوغل جذورها في الأرض تسقط ولا تنمو.

[1] نزار القباني، الأعمال السياسية، ص 100.

[2] هشام عطية القواسمة، الرؤيا والتشكيل دراسة في شعر نزار القباني، رسالة مقدمة إلى شهادة الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماستر في قسم العربية وآدابها، جامعة مؤتة، 2009، ص 82.

[3] عهد عيساوي، مرجع سابق، ص 83.

[4] سورة الأنبياء، الآية 30.

انتظرونا دائما...
في كل ما لا ينتظر
فنحن في المطارات
وفي كل بطاقات السفر
نطلع في روما، وفي زوريخ
من تحت الحجر
نطلع من خلف التماثيل
وأحواض الزهر
رجالنا يأتون دون موعد
في غضب الرعد... وزخات المطر
يأتون في عباءة الرسول
أو سيف عمر
نساؤنا...
يرسمن أحزان فلسطين على دمع الشجر
يقبرن أطفال فلسطين بوجدان البشر
نساؤنا...
يحملن أحجار فلسطين إلى أرض القمر[1]

حاول الشاعر هنا تحرير الواقع العربي من ركام التخاذل والضعف والهزيمة، وحرض على إنعاشا لكرامة باستحضار الرموز العربية من الذاكرة التراثية الجمعية، وجعلها تتحرك بفاعليتها من خلال الصور والدلالات، فأبرز دورها التاريخي في تسطير الأمجاد والبطولات، والتضحيات "سيف عمر" جاء "عمر" رمز للقوة و"سيف" للنصر، من دون أن يلغي دور الأبطال الذين قاوموا الاحتلال في القرن الماضي، فكان لجميلة بوحيرد وأمثالها موقع الإجلال فيقصد بكلمة "نساؤنا" بمجد "بطلات العرب"[2]، كما أن "المطر" رمز للخير ونماء الخصوبة، ونلاحظ أن الشاعر شخص لنا الشجر وجعل له دموع وكأن كل شيء يبكي على هذه الأرض المقدسة والشجرة رمز للصمود والكفاح على الرغم من قوة الرياح التي تعصف بها إلا أنها تبقى شامخة.

[1] نزار القباني، القصائد السياسية، ص 102.
[2] هشام عطية القواسمة، مرجع سابق، ص 89.

تذكروا دائما...
بأن أمريكا – على شأنها –
ليست هي الله العزيز القدير
وأن أمريكا – على بأسها –
لن تمنع الطيور من أن تطير
قد تقتل الكبير، بارودة
صغيرة، في يد طفل صغير[1]

جاءت هنا أمريكا رمزا للقوة والسيطرة، لكن بالرغم من قوتها ليست هي الله القدير فيد الله فوق أيديهم، وإن كانت أمريكا في صف العدوان الإسرائيلي وتسعى سعيهم على الأرض الفلسطينية فإن الله أكبر من كل شيء، وإن استهانت بقدراتنا فليس الكبر هو الذي يصنع النصر، إنما قد يكون صاحب وإن كان صغير أقوى فالإصرار والصمود والتشبث بالأرض قد يأتي بطاقة لا تحسب لها أمريكا حساب، والطيور جاءت رمزا للحرية فحرية الفلسطينيين نهاية حتمية وخروج العدو سيكون بإذن الله.[2]

لقد سرقتم وطننا....
فصفق العالم للمغامرة
ويعتم الألوف من أطفالنا
فصفق العالم للمغامرة
سرقتم الزيت من الكنائس
سرقتم المسيح من منزله في الناصرة
فصفق العالم للمغامرة
وتنصبون مأتما
إذا خطفنا طائرة[3]

جاءت شخصية المسيح عليه السلام هنا دالة على فلسطين المحتلة شعبا وأرضا مع الارتباط بقضية النضال المقدس للشعب، فسرقة المسيح معادل تراثي رامز إلى اغتصاب فلسطين وما عليها من

[1] نزار القباني، القصائد السياسية، مرجع سابق، ص 103.
[2] ياسر عكاشة، مرجع سابق، ص 847.
[3] نزار القباني، القصائد السياسية، مرجع سابق، ص 103.

شعب في المدلول المعاصر، وكذلك منزل السيد المسيح عليه السلام، يرمز إلى الأمة العربية كمعادل معاصر.[1]

لأن هارون الرشيد مات من زمان
ولم في القصر غلمان.... ولا خصيان
لأننا قتلناه وأطعمناه للحيتان
لأن هارون الرشيد لم يعد إنسان
لأنه في تخته الوثير
لا يعرف ما القدس.... وما بيسان
فقد قطعنا رأسه أمس....
وعلقناه في بيسان
لأن هارون الرشيد أرنب جبان
فقد جعلنا قصره.... قيادة الأركان[2]

يحاول الشاعر تحليل الوضع السياسي المتدهور بأسلوب التعليل من خلال شخصية هارون الرشيد التي مثلت رمزا من رموز الخليفة والخلافة الشجاعة والحماية لكرامة الإنسان المسلم وروحه هذا الخليفة المقتول على يد شعبه في زمن التراجع القومي والفكري والثوري، فنزار استحضر الشخصية إلى زمنه المعاصر وجعله رمزا للحاكم العربي في تبعية الشهوات، فليس الرشيد هنا الشخصية التاريخية بل هي من تقمص شخصية الرشيد وادعى لحكمه الرشد، وهو عبد لشهواته محبوس في قصره على سطوته العسكرية في سياسة الرعية[3]، ونرى أن الشاعر قد ذكر اسم هارون الرشيد كثيرا في هذا المقطع (ثلاث مرات) لتنبيه اليهود، فعلى قوة وظلم هارون الرشيد، فقد قتل فهو يذكرهم بخاتمته، وبهذا يوضح لهم نهاية كل معتد أثيم.[4]

محاصرون أنتم بالحقد والكراهية
فمن هنا... جيش أبي عبيدة
ومن هنا معاوية
سلامكم ممزق

[1] ياسر عكاشة، مرجع سابق، ص 898.
[2] نزار القباني، القصائد السياسية، مرجع سابق، ص 109.
[3] رعد رفعه محمد مولود، مرجع سابق، ص 100.
[4] عهد عيساوي، مرجع سابق، ص 95.

وبيتكم مطوق

كبيت أي زانية[1]

هنا الشاعر صرح بمشاعره ومشاعر الشعب الفلسطيني التي يكنها للعدو الصهيوني، ولقد استعان نزار في هذا المقطع بشخصيتين دينيتين "أبي عبيدة" و "معاوية" شخصيتين حملوا لواء الجهاد في سبيل الحق، وجاءا رمزين للقوة والنصر، ليري العدو الصهيوني أن المسلمين يملكون من القوة ما لم يملكه العدو، كما تحيلنا كلمة "الزانية" إلى مجهولين النسب وجاءت هذه الكلمة لتعبر عن اليهود، فليس فلسطين أرضهم ولا ينتمون إليها فهم مجهولوا الأرض والهوية.

من خيمة الذل التي يعلكها الهواء

من وجع الحسين نأتي

من أسى فاطمة الزهراء

من أحد، نأتي، ومن بدر

من أحزان كربلاء

نأتي لكي نصحح التاريخ والأشياء

ونطمس الحروف في الشوارع العبرية والأسماء[2]

جاء رمز الحسين للنضال العربي، وتتجلى "كربلاء" كمدينة شهدت مقتله، فهو رمز للتضحية والفداء، كما أن الحسين هو ابن فاطمة بنت محمد واقتران اسمها بالأسى والحزن بسبب ما عاشته وفقد ابنها وعانت ورأت ما رءاه والدها من الكفار، و "أحد" و "بدر" غزوات شهدت انتصارات للإسلام أي أن العرب أبطال برغم ما مروا به، وسنصحح ما حاولت إسرائيل أن تطمسه فالقدس أرض فلسطينية ويشهد التاريخ على ذلك.

° دراسة تحليلية لقصيدة "بلقيس":

شكرا لكم...

شكرا لكم...

فحبيبتي قتلت... وصار بوسعكم

أن تشربوا كأسا على قبر الشهيدة

و قصيدة اغتيلت

[1] نزار القباني، القصائد السياسية، مرجع سابق، ص 114.

[2] المرجع نفسه، ص 114.

وهل من أمة في الأرض

- إلا– نحن – نغتال القصيدة

بلقيس يا وجعي

ويا وجع القصيدة حين تلمسها الأنامل

هل يا ترى...

من بعد شعرك ترتفع السنابل[1]

الشاعر هنا يحكي لنا سيرة الحبيبة "بلقيس" عبر التصريح المباشر "فحبيبتي قتلت"، الممتني زمنيا إلى الماضي الذي ينتج حاضرا زمنيا يقام فيه مأتم باذخ (وصار بوسعكم أن تشربوا كأسا على قبر الشهيدة)، فحالة التشبيه الحاصلة بين "الشهيدة والقصيدة" دلاليا وإيقاعيا ورمزيا، ترمز إلى فضاء السير الذاتي الشعري، عبر مقارنة فعلية "قتلت – اغتيلت"، فهو استرجاع الزمن المفقود المؤلم ينتج أداء مأساويا واحدا في قتل الشهيدة واغتيال القصيدة على يد قاتل مختص في قتل الحب بالجمال والخيال والكلمة[2]، بلقيس بعدما كانت تحمل كل معاني الحب والاهتمام تحولت إلى رمز للحزن والأسى، لتخبرنا عن بشاعة الحرب وما تخلفه، وهنا إعلان عن موت المرأة والحبيبة والقصيدة معا، وهنا رمز أن السنابل التي تمثل الخصب والعطاء والنماء، والشعر يمثل الأنوثة.

إن الشعر يلغي الزمن وينتصر على الموت، في حين أن المرأة تشيخ مع مرور الزمن وتفقد وهجها وجاذبيتها وجمالها ثم تنتهي إلى الموت، لكن الشعر خالد لا يزول، إن القصيدة لا تفقد نضارتها إنها دائمة الجمال والشباب، إلا أنها هنا قتلت بموت الحبيبة، فالحبيبة قتلت والقصيدة اغتيلت، القصيدة شخصية إيحائية، والحديث عنها يدرك بعده المجازي الجسد والنفس، جسد معنوي يحاكي جسدا ماديا يتوحد معه أحيانا ثم يدخل معه في صراع أحيانا أخرى ليفرض نفسه بديلا.[3]

بلقيس...

كانت أجمل ملكات... في تاريخ بابل

بلقيس...

كانت أطول النخلات في أرض العراق

---

[1] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، ط2، ج4، ص 9.

[2] شايب الرأس زبيدة، السيرة الذاتية "نزار القباني"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة المسيلة، 2011-2012، ص 33.

[3] أحمد حيدوش، شعرية المرأة والأنوثة القصيدة، قراءة في شعر نزار القباني، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2001، ص 178.

كانت إذ تمشي...

ترافقها طواويس

وتتبعها أيائل

سبأ تفتش عن ملكتها... فردي للجمهور التحية

يا أعظم الملكات[1]

صحيح أن القصيدة كانت بمناسبة رثاء زوجته، إلا أنه يعود بنا إلى حضارة قديمة مملكة سبأ، فنجده يصف لنا جمال بلقيس فيشيد بعزمها وشجاعتها وقدرتها على حسم الأمور، إنه يتحدث عن قوة نائمة للأبد، هذه المملكة التي سجلت اسمها في تاريخ الحضارة العربية وبموتها تركت سبأ تفتش عنها، عن ملكة غادرتها وعن جماهير تحييها بحرارة، ومن جهة أخرى يصور لنا بلقيس البطل المغوار بالعودة إلى التاريخ لكن بصورة حية متجددة لنتصور المملكة هي محبوبة الجماهير، ولا يضاهيها أحد في عزمها وجمالها بعد أو قبل[2]، فهنا الشاعر يوظف لنا رمزا تاريخيا بحيث نعود لمملكة سبأ قديما، وقد ذكرت الملكة بلقيس في القصص القرآني حادثة الهدهد مع سيدنا سليمان، لنستخلص منها الحكمة والدهاء في التفكير، فقد استطاعت وعرفت كيف تتعامل مع رجل مثل سيدنا سليمان عليه السلام، فقد وهبه الله تعالى السلطة على سرائر المخلوقات والظواهر، يقول عز وجل: ﴿وَلَقَدَ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[3]، ونجد في القرآن الكريم توضيحا لحسن تصرف ملكة سبأ بعدما تلقت كتاب سليمان عليه السلام، إذ قامت باستشارة قومها قبل أن تخطوا بأية خطوة وقرأت لهم الكتاب، ثم أدلت برأيها والذي تمثل في اختبار لسليمان عليه السلام بهدية تبعثها إليه، لترى إن كان نبيا حقا، أم سلطانا يدعي النبوة ويظهر هذا في قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَآتُونِي مُسْلِمِين ۝قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ قَالُواْ نَحْنُ أُولُواْ قُوَّةٍ وَأُولُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[4]،

[1] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، مرجع سابق، ص 10.

[2] شايب الرأس زبيدة، مرجع سابق، ص 67.

[3] سورة النمل، الآية 15 – 16.

[4] سورة النمل، الآية 30 – 35.

تتسرب الدلالات المعجمية من النص القرآني الكريم، لتلتقي بشخصية بلقيس الزوجة بشخصية بلقيس الملكة، بكل إيحاءاتها فتتربع العرش ملكة مرة وأميرة مرة أخرى، في ستة مواضع من القصيدة مرتبطة بالزمن الماضي ثلاث مرات، وبالزمن الحاضر ثلاث مرات في سورة يتساوى فيها الزمانين بشكل ملفت للانتباه، ولعل سر هذا التساوي يعود للإسقاط الذي قام به نزار فبلقيس الزوجة تشترك مع بلقيس الملكة في الجمال، الحكمة، الأصالة، وكذلك في الانتهاء، الملكة انتهى ملكها والزوجة انتهت حياتها.

مصطلح "النخلة" في صياغته المفردة يدل على الأصالة و التجذر، بحكم القدم فالنخلة متواصلة مع الأرض والارتباط شروط نموها بطبيعة الصحراء القاسية الجافة وشديدة الحرارة والعطش، ويجوز أن نصفها بالقوة والمقاومة، كما قد تمثل النخلة مصدرا للخير والعطاء وهذا إذا عدنا إلى القرآن الكريم في قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[1]، ونلاحظ هذه الدلالات تضاعفت عندما ربطها بصيغة الجمع "النخلات" وصيغة المبالغة أطول على وزن أفعل.

في عبارة ترافقها الطواويس معروف أن الطاووس منذ القديم مرتبط بالفخر والغرور والكبرياء وفي حين أن الأيل يجمل كل معاني الجمال، فتتحول بلقيس هنا لرمز الكبرياء والجمال وهنا الرمزان طبيعيان.

قتلوك يا بلقيس
أية أمة عربية
تلك التي
تغتال أصوات البلابل؟
أين سموآل؟
والمهلهل؟
والغطاريف الأوائل؟
قبائل أكلت قبائل
وثعالب قتلت الثعالب
وعناكب قتلت العناكب[2]

[1] سورة مريم، الآية 25.

[2] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، ص 14.

في المقطع السابق عاد بنا نزار إلى ذلك التاريخ القديم من عصر الجاهلية، عصر الصراع من أجل لا شيء إلى عصور القبلية وحروبها الطاحنة التي تحرق كل شيء وتصبغ التراب بلون الدماء، قصة "سموآل" و "قيس"، فسموآل جاء رمزا للوفاء والأمانة فهو حفظ ذرع وأموال امرؤ القيس التي تركها عنده لما أراد التوجه لقيصر الروم، وكان ذلك لإيمانه أه لن يعود وهو ما حدث فقد مات امرؤ القيس، حينها طلب الملك من سموآل تلك الذروع والكنوز لكنه رفض، والملك رهن ابنه إلا أن سموآل ضحى بابنه مقابل حفظ الأمانة وصيانتها ومن ذلك الحين العرب تضرب المثل بسموآل[1]، وجاء اسم المهلهل رمزا للثأر والانتقام، وهذان الرمزان مصاحبان بالاستفهام الذي جاء في صورة الاستنجاد الصارخ.[2]كما وظف رمزين طبيعيين "الثعلب" الذي هو معروف بالمكر و "العناكب" رمزا للضعف وسهولة الانهيار وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَ إِنَّ أَهْوَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ﴾.[3]

سأقول في التحقيق:

إن اللص أصبح يرتدي ثوب المقاتل

وأقول في التحقيق:

إن القائد الموهوب أصبح كالمقاول[4]

فهنا تأزمت حالة الاضطراب،فالمقاول جاء كرمز للاستغلال والسرقة، فهو سبب أصيل للاضطراب الحاصل في المقطع الذي قبله (قتل بلقيس وحادثة التفجير)، باعتباره تمثيلا عن رجل السياسة العربية.

ها نحن... يا بلقيس...

ندخل مرة أخرى لعصر الجاهلية...

ها نحن ندخل في التوحش...

و التخلف... و البشاعة... والوضاعة...

ندخل مرة أخرى... عصور البربرية[5]

2 www.okaz.comيوم 26-01-2009 الساعة 15:40.

[2]المرجع نفسه.

[3]سورة العنكبوت، الآية 41.

[4] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، مرجع سابق، ص 18.

[5]المرجع نفسه، ص 23..

نعلم كلنا أن العصر الجاهلي يحمل كل صفات البشاعة والتخلف، ونعلم أن المرأة في هذا العصر اغتصبت كل حقوقها حتى حقها في الحياة انتهك، فالمجتمع العربي القديم يرفضها رفضا بدائيا وقد أبان لنا القرآن الكريم ذلك في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هَوْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1]، فنجد الشاعر يهجوا المجتمع العربي الحديث ويصفه بالعودة إلى الوراء إلى عصور الظلام والتوحش إلى عصر وأد البنات ودفن الزوجات.[2]

بلقيس

إن قضاءنا العربي أن يغتالنا عرب

ويأكل لحمنا عرب...

ويفتح قبرنا عرب...

فكيف نفر من هذا القضاء...

ينبهنا المقطع إلى استدعاء الشاعر للحادثة التاريخية التي تحرك ذاكرة القارئ المسلم نحو غزوة أحد حين استشهد الصحابي حمزة بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وفتحت هند بنت عتبة بطنه وأكلت كبده ظلما له لنصرته الإسلام، عاد بنا الشاعر إلى هذا المشهد اللاإنساني وليعلمه في أذهاننا، نحو حالة العرب الفاعل في الجريمة ولتأصيل فعل الجريمة العربية التي تستنزف دمها ظلما، فيضاعف وزن وقيمة المجني عليه (حمزة رضي الله عنه) في النص الغائب (بلقيس في النص الحاضر)، ولعل ما يضاعف إحساس القارئ هو اقتران فعل الجريمة[3] بمصطلح القضاء العربي "إن قضاءنا العربي أن يغتالنا عربي".

وفي هذا المقطع:

بلقيس

إن هم فجروك... فعندنا

كل الجنائز تبتدي في كربلاء...

وتنتهي في كربلاء[4]

---

[1] سورةالنحل، الآية 58 – 59.

[2] ربى عبد الرضا عبد الرزاق التميمي، قصيدة بلقيس لنزار دراسة تحليلية، مجلة ديالي، كلية التربية، الأصمعي، العدد الرابع والأربعون، سنة 2010، ص 32.

[3] www.addustour.com

[4] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، مرجع سابق، ص 52,

يهز فينا ذكرى الفاجعة التي حلت بالإسلام والمسلمين آنذاك في كربلاء، التي قتل فيها الحسين بن علي – رضي الله عنهما – من طرف أعداء الإسلام (الشيعة – اليهود – المجوس) لتمثل لنا كربلاء هنا محورا تناصيا يعكس لنا دلالة الغدر والظلم والاغتيال في الوطن العربي، باعتبارها فضاء جنائزيا ممتدا نحو الزمن الحاضر وشاملا له، مادام الصراع واقفا على طرفي نقيض، فالصراع في كربلاء بين الإسلام والكفر، في حين يدور الصراع في الوطن العربي بين الحق والباطل، بين الثورة والتواطؤ[1]، فكربلاء جاءت هنا رمزا للظلم والقتل ولنصرة الباطل على الحق.

بلقيس...

يا فرسي الجميلة... إنني

من كل تاريخي خجول

هذه البلاد يقتلون بها الخيول

هذه البلاد يقتلون بها الخيول[2]

جاءت لفظة "الخيول" رمزا للجمال والشجاعة، لكن اقتران هذه اللفظة بـ "يقتلون" جعلها تتلاشى ليظهر لنا الشاعر بأن البلاد العربية تقتل الجمال وتقتل الشجاعة، فالشجاع لا مكان له بين العرب.

سأقول في التحقيق:

كيف غزالتي ماتت بسيف أبي لهب

كل اللصوص من الخليج إلى المحيط

يدمرون... ويحرقون...

وينهبون... ويرتشون...

ويعتدون على النساء

كما يريد أبو لهب

كل كلاب موظفون...

ويأكلون...

ويسكرون...

على حساب أبي لهب...

لا فسحة في الأرض...

---

[1] www.addustour.com 18h00 min

[2] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، مرجع سابق، ص 74.

تنبت دون رأي أبي لهب
لا طفل يولد عندنا
إلا وزارت أمه يوما
فراش أبي لهب !!...
لا سجن يفتح...
دون رأي أبي لهب...
لا رأي يقطع
دون أمر أبي لهب[1]

نلاحظ في هذا المقطع تكرار لكلمة "أبي لهب"كما ربطها بالإجرام والسرقة والاغتصاب، فاستمرار هذه الأفعال الشنيعة موجود بوجود "أبي لهب"باعتباره رمزا "للظلم"، وهذا الذي خص الله سبحانه وتعالى سورة كاملة يصفه فيها بالخسارة لظلمه الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2]، فهنا بتوظيفه لشخصية "أبي لهب" يرمي من خلالها إلى سوء النظام السياسي والإداري في الدول العربية، فأبي لهب من الرموز السلبية التي شخصها نزار في قصيدته وربما رمز به إلى الاستعمار الجاثم على الأمة العربية، فقوله من "الخليج إلى المحيط" يعني الوطن كله وقوله "لا طفل يولد عندنا" يعني أبناء قومه العرب، فسوء النظام دفعه إلى توجيه سهام النقد والهجاء إلى أولئك المسؤولين عن هذا التردي في كل مجالات الحياة العامة[3]، وجاءت كلمة غزال (قتلت غزالتي بسيف أبي لهب) رمزا للجمال والبراءة، فبلقيس لا ذنب لها وهي ضحية للصراعات اللبنانية كما تكون الغزالة ضحية في يد من يصطادها.

بلقيس...
يا معشوقتي حتى الثمالة
الأنبياء الكاذبون
يقرفصون
ويركبون على الشعوب
ولا رسالة

[1] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، مرجع سابق، ص 79-80-81.
[2] سورة المسد، الآية 1.
[3] ربى عبد الرضا عبد الرزاق التميمي، مرجع سابق، ص 33.

لو أنهم حملوا إلينا...
من فلسطين الحزينة...
نجمة...
أو برتقالة...
لو أنهم حملوا إلينا
من شواطئ غزة
حجرا صغيرا
أو محارة
ولو أنهم من ربع قرن حرروا
زيتونة...
أو أرجعوا ليمونة
ومحوا من التاريخ عاره
لشكرت من قتلوك... يا بلقيس
يا معبودتي حتى الثمالة...
لكنهم... تركوا فلسطين
ليغتالوا غزالة !!...

يشكل مصطلح "الأنبياء الكاذبون"بؤرة التناص، حيث أننا بمجرد قراءتنا له نستدعي ذهنيا وبطريقة تلقائية، أسماء مدعي النبوة من أمثال مسيلمة الحنفي الكذاب، الأسود العنسي، وسجاح الذين أرادوا الفتنة بين المسلمين، فادعوا النبوة طمعا في السلطة والجاه.

ففي هذا المقطع مواضيع تحتشد فيها كل معاني الكذب والاستبداد والتواطؤ والعجز، الذي يضاعفه الشاعر بترديده لعبارة (لو أنهم) ثلاثة مرات في ثلاث جمل متتالية، سخطا على العرب وبأسا من قدرتهم، وليتضاعف على سخط في قوله (لكنهم تركوا فلسطين) لو أن القاتل نصر فلسطين وقتل من قتلوها ولطخوا تاريخ العرب فلا تحولت ثنائية الصراع بين العرب واليهود إلى العرب والعرب فبدلا من "بلقيس" كان يجب استهداف محتلي "فلسطين" وتحرير وتطهير أرضها من الدنس اليهودي وتحرير شواطئها ومآذنها، وتنقيح تاريخ قدسها لكن للأسف حدث خطأ فادح دمر النفوس وقتل الأجساد العربية.[1]

[1] زين حفيظة، قراءة في قصيدة بلقيس لنزار القباني، تيمة: (الفقد/الموت)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص 10.

ومن المعروف أن شجرة الزيتون شجرة مباركة وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحُالمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُلِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]،ويقترن اسم "الزيتونة" دائما مع فلسطين أو يوظف هذا الرمز مع القضية الفلسطينية ليحمل لنا دلالات الأمل والمقدسية، فهنا الشاعر تمنى لو أن العرب حرروا فلسطين أرض الزيتون والليمون، كما تحمل لفظ "النجمة" دلالة على الأمل والنور فالقضية الفلسطينية شاغلة أذهان كل العرب هذا الانشغال يولد أمل للفلسطينيين أن أرضهم ستتحرر.

كما أن البرتقالة والليمونة يحيلان إلى الوطن المغتصب والشعب المتشرد ففلسطين معروفة بإنتاجها لهاتين الفاكهتين لكن بدخول العدو الصهيوني اغتصب كل شيء، وشوه كل شيء في هذه الأرض المقدسة وكل الرموز التي ذكرت فيها سابقا رموز طبيعية.

وفي قوله "لشكرت من قتلوك.. يا بلقيس" ليستهزئ أو يسخر من العرب ليفتح جرحا موغلا في جسد القومية العربية، هذا الجرح الذي ما ضمد وما التأم مادام العجز العربي قائما والوعي القومي غائبا.

ماذا يقول الشعر، يا بلقيس

في هذا الزمان؟

ماذا يقول الشعر؟

في العصر الشعوبي

المجوسي...

الحيان[2]

وهذا المقطع يوحي لنا لاسترجاع حقيقة تاريخية، ألا وهي العصر الشعوبي إبان الحكم العباسي، الذي اختلط فيه حال الشعر والشعراء المولدين وشعر الأعراب، وما تبعه من ثورة على تقاليد الشعر العربي والانقلاب عليه.[3]

والعالم العربي

[1] سورة النور، الآية 35.

[2] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، مرجع سابق، ص 80.

[3] ربى رضا عبد الرزاق، مرجع سابق.

مسحوق... ومقموع

ومقطوع اللسان...

نحن الجريمة في تفوقها

فما العقد الفريد... وما الأغاني

هنا إشارة لأن العصر العربي يفقد مقوماته وسمات وجوده التي جبل عليها، تماما كما حدث في العصر الشعوبي وبهذا يكون العصر الشعوبي نظيرا مطابقا للعالم العربي في هذا العصر من حيث حيرة القول وضياع المقال.

بلقيس...

إن الحزن يثقبني...

وبيروت التي قتلتك... لا تدري جريمتها

وبيروت التي عشقتك...

تجهل أنها قتلت عشيقتها

وأطفأت القمر[1]

بداية واثناء قراءتنا لهذه الأسطر يبدو لنا المقطع طبيعيا خاليا من اللغة الرمزية، ولكن الملفت للنظر عبارة "بيروت التي عشقتك" وعبارة "بيروت التي قتلتك" لاحتوائهم على قرينتين لغويتين "عشقتك – قتلتك"، يتسللان من الزمن البعيد في شكل إيحائي خفي، لترحلا بنا إلى رائعة من روائع الأدب العربي، قصة ألف ليلة وليلة وحكاية الملك شهريار، وعشيقاته اللواتي كان يقتلهن كلما طلع الفجر، واختفى القمر، فبيروت أصبحت هكذا أصبحت تقتل أبناءها بدون وعي كالملك شهريار.[2]

بلقيس: صعب أن أهاجر من دمي...

وأنا محاصر بين ألسنة اللهيب...

وبين ألسنة الدخان...

بلقيس أيتها الأميرة

ها أنت تحترقين... في حرب العشيرة والعشيرة

ماذا سأكتب عن رحيل مليكتي؟

إن الكلام فضيحتي...[3]

[1] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، مرجع سابق، ص 47.

[2] ربى رضا عبد الرزاق، مرجع سابق، ص 45.

[3] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، مرجع سابق، ص 48-49.

يرجع بنا السطر الأول من هذا المقطع إلى واقعة تاريخية عربية، مثلت هجرة العربي من دمه إنها هجرة الشعراء الصعاليك، من أمثال "عروة ابن الورد، والشنفرى، وتأبط شرا...، وغيرهم"، الذين ثاروا على نظام الحكم القبلي، واختاروا قساوة الفيافي على الرضوخ والتبعية لسلطة لا يرون فيها عدلا ولا صلاحا، وأنهم حسموا أمرهم فإن نزار يقف محاصرا بين ثلاث فضاءات، حيث يتحول فصل "الهجر" من الفضاء الجغرافي المحسوس في ألسنة اللهيب وهي (بيروت المتفجرة) وألسنة الدخان (وهي باقي البلدان العربية) إلى فضاء معنوي في قوله "صعب أن أهاجر من دمي" أي الهوية الشعرية العربية، هنا تظهر لنا حالة التردد التي تعيشها الذات الشاعرة.[1]

وفي قول الشاعر "ها أنت تحترقين... في حرب العشيرة والعشيرة" يعود بنا إلى قلب العصر الجاهلي، لنرى الصورة المشابهة لحال بلقيس، إنها صورة الأميرة اليمامة بنت كليب التي عاشت حربا طاحنة بين عشيرتها من أبيها (بني تغلب) وعشيرتها من أمها (بني بكر)، تلخص لنا هذه الصورة وبطريقة مباشرة من غير توليد ولا استنتاج نظيرتها في العصر العربي، لتشير على ما يشهده من خلافات ونزاعات داخلية تقف على هامش ما يدور في العالم، إضافة إلى هذا تعطي هذه الإشارة صورة الجاهلية سلوكيا – لعصر حديث – زمانيا – مما يؤدي إلى التخلف والتأخر.[2]

فالخنجر العربي... ليس يقيم فرقا

بين أعناق الرجال

وبين أعناق النساء[3]

لندخل عصر صدر الإسلام في هذا المقطع فالكلمات "الخنجر العربي" "الرجال والنساء" أتاحت لنا لذكر المجزرة التي ارتكبت في حق آل ياسر بقريش، حيث قتل ياسر رفقة زوجته سمية رضي الله عنهما على حد السواء، تعكس لنا هذه الصورة الرمزية جاهلية الاغتيال ولاإنسانية الموقف، والخنجر العربي رمز "السلطة المستبدة".

[1] فاضل محمد عبد الله الزبيدي، جذور الشعر السياسي عند نزار القباني، العدد الثاني عشر، 2009، ص 82.

[2] المرجع نفسه، ص 83.

[3] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، مرجع سابق، ص 52.

وسيعرف الأعراب

أنهم قتلوا الرسوله

قتلوا الرسوله

قـ.. تـ.. لـ. وا

الـ. ر.. سـ. و.. ل....ه[1]

في هذا المقطع نستنتج أن العرب لم يعرفوا قيمة ما يفقدون فكلمة "الرسوله" تحمل دلالة الحب والسلام والحق والتسامح وكل المعاني الجميلة، كما أن عبارة "قتلوا الرسوله" جاءت في الأخير بأحرف منفصلة، تتوسط كل حرفين نقطتين متباعدتين، وكأن الشاعر يلفظ آخر أنفاسه عند البوح بهذه العبارة، لتمثل خلاصة الحكم والجزاء الذي يوجهه الشاعر عقابا للعرب، كما يولد في أنفسنا المتقطع للعبارة إحساسا بتنامي فعل القتل، وتضاعفه واستمراريته على مر الزمان فهو مربوط باستيقاظ الحرية.[2]

على العموم ما نستنتجه أن هذه القصيدة لم تكن قصيدة رثاء على زوجته وفقط، بل تجاوزت ذلك إلى رثاء الوطن، وبما أن القصيدة رثائية فجل عباراتها كانت دالة على الحزن فالشاعر حزين على ما آل إليه حال العرب، وانعكس ذلك في قصيدته.

° دراسة تحليلية لقصيدة "القدس":

إن قصيدة "القدس" حملت هي الأخرى في ثناياها أهم قضية قومية وهي القضية الفلسطينية التي شكلت فجوة كبيرة في نفوس الشعراء نظرا لطول فترة احتلالها.

القصيدة:

بكيت .... حتى انتهت الدموع

صليت .... حتى ذابت الشموع

ركعت .... حتى ملني الركوع

سألت عن محمد....

فيك، وعن يسوع

يا قدس، يا مدينة تفوح أنبياء

يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء[3]

---

[1] نزار القباني، الأعمال الشعرية كاملة، مرجع سابق، ص 87.

[2] شايب الرأس زبيدة، مرجع سابق، ص 50 بتصرف.

[3] نزار القباني، القصائد السياسية، مرجع سابق، ص 87.

بدأ نزار قصيدته بشدة الحزن والبكاء ليعبر عن انكسار وانهيار العظمة القدسية لهذا المسجد العظيم أي المسجد الأقصى، وأحزان نزار القباني في هذه القصيدة أحزان وجودية فهو في رمزه يمثل أطوار الحضارة الإسلامية في مدينة القدس فالقدس مدينة وهي موجودة إلا أنها تحولت إلى رمز للحزن والأسى.[1]

كلمة "الدموع" حملت في مفادها كثرة البكاء واقترانها بالفعل "انتهت" دل على البكاء الشديد الذي يجف منه الدمع والعين، كما تحمل "الشمعة" معنى الأمل والنور إلا اقترانها بالذوبان يحيل إلى فقدان الأمل، كما يوحي لنا الربط بين الصلاة والشموع إلى الديانة المسيحية التي يكون فيها الشمع طقسا من طقوس الصلاة، وإن عبارة "ركعت حتى ملني الركوع" تدل على كثرة الصلاة وطولها يوحي لنا إلى الديانة الإسلامية.

استعان نزار برموز دينية فـ "محمد" يحمل كل المعاني الإنسانية والدفاع عن الحق و "يسوع" هو المسيح يحمل لنا دلالة معاناة الشعب الفلسطيني من ويلات الاستعمار.

القدس هي المدينة التي كثر فيها الأنبياء، وتتمتع بالرائحة الطيبة التي تفوح وكأنها أزهار، ومن الأنبياء الذين سكنوا مدينة القدس هم: إبراهيم، إسحاق، يعقوب (اسمه إسرائيل)، يوسف، داوود، سليمان، فتفوح لمكوث أغلب الرسل فيها لأنه مكان مقدس يحظى بالعناية الإلهية.[2]

يا قدس يا منارة الشرائع
يا طفلة جميلة محروقة الأصابع
حزينة عيناك يا مدينة البتول
يا واحة ظليلة مر بها الرسول
حزينة حجارة الشوارع
حزينة مآذن الجوامع
يا قدس.... يا مدينة تلتف السواد
من يقرع الأجراس في كنيسة القيامة؟
صبيحة الآحاد....
من يحمل الألعاب للأولاد؟
في ليلة الميلاد[3]

[1] عزوز قربوع، دلالة القدس في الشعر العربي المعاصر، جامعة سكيكدة، الجزائر، 1955، ص 33.
[2] المرجع نفسه، ص 38-39.
[3] نزار القباني، القصائد السياسية، مرجع سابق.

يستمر الشاعر في حزنه في هذا المقطع وبكائه على فلسطين، إذ تحولت القدس إلى طفلة (وهذا ما يعرف بالتشخيص) احترقت أصابعها، فالطفلة رمز للبراءة والجمال واحتراق أصابعها يجعلها عاجزة عن اللعب (فالأطفال يهوون اللعب)، وكأن الأصابع هم العرب الذين يقفون مكتوفي الأيدي وهذا ما زاد مع ضعفها أي القدس.

يصف الشاعر القدس بأنه مكان ينبعث منه النور، يكون له جمال في العيون، وفي عبارة "حزينة عيناك – يا مدينة البتول"، البتول هي مريم العذراء وهي رمز العفة والطهارة، فالقدس طاهرة وأرض مباركة، غلا أ مريم اتهمت وعانت الويلات من قومها واتهموها بشرفها، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[1]، فالقدس مظلومة من طرف العدو الصهيوني، "يا واحة ظليلة مر بها الرسول" فالواحة تمتاز بالجمال حيث تكون مثمرة وهي تعيش في أرض قاحلة مما يزيد من جمال المنظر ومرور الرسول صلى الله عليه وسلم نعود إلى حادثة الإسراء والمعراج، حيث عرج النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الأقصى إلى السماء بحصان يسمى "البراق"، وهذا ما أشارتإليه عبارة " يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء" في المقطع الأول من القصيدة.

إن المدينةالتي كانتتفوح أنبياء أصبحت في الصورة المعاصرة مدينة محطمة المآذن وكل شيء محطم وحزين فيها شوارعها والحجارة، وحين كانت منارة الشرائع في السورة التراثية أصبحت في الصورة المعاصرة مدينة تلتف بالسواد، فالأسود رمز للحزن والظلام فمدينة القدس صارت مسبوغة بالحزن وخيم على جدرانها وشوارعها الحزن.[2]

وفي هذا المقطع يصف لنا الشاعر القدس على أنه من المناظرالحزينة وهي منظر للحزن والشقاء، والسواد الذي يلفها بسبب العدوان الصهيوني إذا تأملنا هذا المقطع وجدنا السؤال "من يقرع الأجراس في كنيسة القيامة" وكانت كنيسة القيامة في مدينة القدس، هي أثر مسيحي، والسؤال دليل على أنه لا يوجد من أحد ليقرع الأجراس بسبب العدوان من اليهود والحزن في تلك المدينة، وصبيحة الآحاد يقصد بها يوم الأحد والذي هو يوم مقدس للأنصار يذهبون فيه إلى الكنيسة وكل ذلك يشير إلى أن القدس مهبط لجميع الرسالات السماوية.[3]

[1] سورة مريم، الآية 27-28.

[2] ياسر عكاشة، مرجع سابق، ص 892 بتصرف.

[3] عزوز قربوع، مرجع سابق، ص 56.

نلاحظ في هذا المقطع تكرار لكلمة "حزينة" أكثر من مرة لتجسد لنا حالة الحزن والجراح التي آلمت نفسية الشاعر نتيجة أفعال الصهاينة، كما توحي بالأنين والألم الذي يسيطر على الشاعر والمدينة.

يا قدس... يا مدينة الأحزان
يا دمعة كبيرة تجول في الأجفان
من يوقف العدوان؟
عليك يا لؤلؤة الأديان
من يغسل الدماء عن حجارة الجدران
من ينقذ الإنجيل؟
من ينقذ القرآن؟
من ينقذ المسيح مِن مَن قتلوا المسيح؟
من ينقذ الإنسان؟[1]

نلاحظ في هذا المقطع الشاعر يكثر من الاستفهام وكأنه ميؤوس ولم يجد ما يفعله سوى طرح الأسئلة ولا يزال الألم يعصره ولا يزال الحزن يسطو على مدينة القدس ولا تزال حجارة الجدران تصبغ بلون الدماء، ولا زالت الجرائم متواصلة، كما يصفها الشاعر بلؤلؤة الأديان التي كانت تحت مسجد الأقصى ما يسمى بهيكل سليمان، وأنه أثرا يهوديا، كما أن اللؤلؤ يكتسب اللون الأبيض، واللون الأبيض دلالته الجمالية في وصف المكان لعلاقته بالبياض والإشراق بالصفاء والنقاء، فالقدس طاهرة نقية كاللؤلؤ.[2]

في قوله "من ينقذ الإنجيل" "من ينقذ القرآن" الإنسان الوحيد من يستطيع إنقاذهم لكن للأسف نقف مكتوفي الأيدين كما أن القدس أرض إسلامية وارض مقدسة مر بها جميع الأنبياء إلا أن العدو الصهيوني حاول أن يطمس كل هذه المقدسات وحاول طمس الإسلام وربط القدس بالديانة اليهودية المحرفة.

قد رمز نزار هنا إلى شعب فلسطين، وهو النموذج المعاصر المقتول بالمسيح عليه السلام، وهو النموذج التراثي المقتول، وكلاهما مصيره محتوم وهو القتل، فالقاتل واحد ولا يتغير والأرض عي الأرض التي شهدت صلب المسيح، إلا أن بموت فلسطين تموت الإنسانية كلها على الأرض.

[1] نزار القباني، القصائد السياسية، مرجع سابق، ص 88.
[2] عزوز قربوع، مرجع سابق، ص 47.

وقد استطاع نزار من خلال هذه الصورة الرمزية أن يعمل على توحيد العصور والأماكن والثقافات المختلفة ومزجها بعصرنا وأجوائه وثقافاته، ومن جهة أخرى تؤدي وظيفتها العضوية في القصيدة باعتبارها صورة شعرية، فإذا قرأناها حصلنا على خبرتين مزدوجتين في آن واحد.[1]

يا قدس يا حبيبتي
غدا ... غدا ... سيزهر الليمون
وتفرح السنابل الخضراء والغصون
وتضحك العيون
وترجع الحمائم المهاجرة
إلى السقوف الطاهرة
ويرجع الأطفال يلعبون
ويلتقي الآباء والبنون
على رباك الزاهر
يا بلدي ... يا بلد السلام والزيتون[2]

يصف الشاعر مدينة القدس الجميلة ويحمل معه كل صفات التفاؤل والفرح فلابد من يوم تستيقظ وتصحو الأمة الإسلامية، وذكر الشاعر "السنابل" و "الزيتون" كرمزين للسلام، وفي قوله القدس يا حبيبتي تشبه للقدس بأنها الفتاة التي أحبها للتعبير عن كثرة حبه وتعلقه بالقدس، وفي قوله "تفرح السنابل" صور السنابل بإنسان ليعبر عن شدة فرحه عندما يعم السلام، كما يصفها بالخضراء فاللون الأخضر يرمز إلى الراحة والسكينة، والعيون التي تضحك دليل على حصول رجاء أهل القدس وتحقيق أمانيهم، فأبناءها كانوا يتشردون والرعب يملأ نفوسهم من اليهود، فالشاعر يصف فرحتهم إن هم رجعوا إلى بيوتهم والسعادة والسرور بادية على وجوههم، ويعود الأطفال للعب كما كانوا فقد سرقت طفولتهم منهم واصبحوا رجالا بدلا من أن يكونوا أطفالا بسبب الحرب والمعاناة التي يعيشونها.[3]

ولعل ما نستنتجه هو أن الشاعر نزار القباني جعل من القرآن والتراث الديني موجع له في صياغة القصيدة، التمس روح قارئها وتجعله يحس بقيمة القدس ويصحو ضميره، كما أن القصيدة لا يمكن أن تخلوا من ألفاظ الحزن لأنها تتناول قضية تشكل عزة في التاريخ العربي والإسلامي.

[1] محمد فتوح أحمد، مرجع سابق، ص 500.
[2] نزار القباني، الأعمال السياسية كاملة، مرجع سابق، ص 89.
[3] شايب الرأس زبيدة، مرجع سابق، ص 68 بتصرف.

خـــاتمـة

من خلال دراستنا المتواضعة لهذا الموضوع، وبما أن لكل بداية نهاية نهي في الختام إلى جملة من النتائج:

- الرمز أهم مكون للقصيدة المعاصرة، وعنصر تغير بارز فيها ويعتبر الرمز اللغة الجديدة المتطابقة مع الشكل الجديد واللائقة به.

- استخدم الشعراء المعاصرون الرموز بأنواعها المختلفة ولكل شاعر طريقته في استخدامه له والدلالة التي يرغب في تحصيلها إياه وخاصة في الرموز الطبيعية.

- ولقد ساعد الرمز الشعراء العرب المعاصرين في التعبير عن مكنوناتهم بطريقة غير مباشرة وذلك بسبب الظروف السائدة في العصر آنذاك.

- يعتبر نزار القباني من أهم الشعراء الذين استخدموا الرمز لخدمة أفكارهم، من أهم الرموز التي اعتمدها في قصيدة بلقيس ومنشورات فدائية على جدران إسرائيل والقدس كما لاحظنا رموز دينية ورموز تاريخية أثرت مواضيع القصائد.

- تكمن وظيفة الرمز حيث يعمل الشاعر إلى انتقاد الأوضاع السياسية أو الاجتماعية فيستخدم الرمز للتستر به خشية من التصريح الذي يعرضه للأذى، إضافة إلى ذلك فالرمز لا يخلو من الأهمية الجمالية.

- يعد الرمز مشروع إبداعي للكشف يتضمن رؤية الشاعر للعالم حوله حيث تهدم الحواجز بين الحلم والواقع والذات والموضوع، وكذلك استبطان للداخل والغوص في الأعماق.

- وكذلك خلصنا من خلال دراستنا للقصائد الثلاثة، حيث لاحظنا أن الشاعر طغى عليه النزعة القومية كما أنه وظف مدينة "كربلاء" كرمز لضعف العرب وهذا راجع لنفسية الشاعر الثائرة على الأنظمة العربية وحكام العرب.

- استفاد الشاعر من الرمز التاريخي التراثي لبيان أحاسيسه الداخلية ومشاكله الخارجية ومهما نقرأ قصائد من الشعر المبدع المتجدد نتعرف عليه أكثر ونطلع على همومه وآلامه وقلقاته، وقد اختار القلم ليكون سلاحه.

- كما أننا لاحظنا أن موت بلقيس كان موت ونهاية القصيدة الحرة عنده وهذا ما استخلصناه من خلال دراستنا لقصيدته "بلقيس".

وفي الختام تبقى هذه النتائج التي توصلنا إليها من خلال انشغالنا على قصائد نزار القباني من المنظور السيميائي وتبقى هذه النتائج محفوفة بالنقائض العديدة تمثل المسائلات الأولية لأبحاث أولية، ولا ندعي لبحثنا هذا الكمال فهو عرضة للنقاش والجدال، ومن اجتهد وأصاب فله أجران ومن لم يصب فله أجر واحد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1-المصادر :

1-القران الكريم

2-المعاجم :

1-ابن منظور لسان العرب, بيروت

3-المراجع :

ا-كتب عربية :

1- ابو زيد سامي, الادب العربي الحديث الشعر ,ط 1, عمان ,دار المسيره,2013

2-الباقي عبد الكريم, دراسه فنيه في الادب العربي, ط1 ,1963

3-بوهرر حبيب, نهر هادي ,تشكيل الموقف النقدي عند ادونيس ونزار, ط1 ,عالم الكتاب الحديث, جدار الكتاب العالمي2008

4-بن عطوري مسعد ,الرمز في الشعر السعودي ,مكتبة التوبة الرياض, ط 1 , 1993

5-بوسقطة السعيد, الرمز الصوفي للشعر المعاصر, ط 2

6-الجندي درويش, الرمز في الادب العربي

8-الجاحظ ,البيان والتبين

9-حيدوش احمد, شعريه المراه والانوثه قصيده بلقيس قراءه في شعر نزار قباني منشورات فدائيه على الجدار اسرائيل ,اتحاد العرب دمشق, 2001

10-الدهان بو عمار,معزوفه الظمأ

11-الرعدي عبد الله ,الأوراس في الشعر العربي , الجزائر, 1982

12-الرماني ابراهيم, أسئلة كتاب النقدية

13-زين حفيظه ،قراءه في قصيده بلقيس نزار قباني تيمة الفقد والموت

14-السياب بدر شاكر ،ديوان 1971 ،جزء 1

15-الصباغ رمضان، جمالية الشعر العربي المعاصر ،الإسكندرية، الطبعة ،1 دار الوفاء

16-عاطف جود النصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الاندلس بيروت ، ط3، 1683

17-عباس احسان ،اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الكويت ،دار المعرفة

18-عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي قضاياه و ظواهره الفنية، ط،3 دار الفكر العربي

19-عوض ريتا، اسطورة الموت الانبعاث الشعر العربي الحديث، المؤسس للدراسات، بيروت 1972

20-القباني نزار، الأعمال السياسية الكاملة

21- القباني نزار، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الرابع

22-قربوع عزوز، دلاله القدس في الشعر العربي المعاصر،جامعة سكيكدة،الجزائر

23-كندي محمد، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب و نازك و البياتي) ،دار الكتاب الجديدة

24-ياسر عكاشة حماد مصطفى، فلسطين في شعر نزار القباني كلية الدراسات الاسلامية العربية ، بنات الزقاق

ب-الكتب المترجمة:

1- فرويد، تغيير الاحلام ،ترجمه مصطفى حفران

2-هوسر أرنو لد ،فلسفه تاريخ الفن، ترجمة رمزي عبد بدوي ،جامعة القاهرة،1968

4-المجلات العلمية :

1-التميمي ربى عبد الرضا عبد الرزاق ، بلقيس نزار دراسة تحليلية،مجلة ديالي،كلية التربية الأصمعي، العدد 44 ، 2010

2-خلف جلال الله، مجلة ديالي، العدد الثاني والخمسون، 2011

3-رعد رفعه محمد مولود ،استدعاء للشخصيات الاسلامية في شعر نزار القباني، مجلة القدس المفتوحة للبحوث ،العدد الخامس والاربعون، 2018

4-الزبيدي فاضل محمد عبد الله، جذور الشعر السياسي عند نزار قباني، العدد الثاني عشر، 2009

5-المذكرات :

1-بوجلال وفاء، قارة نجاة ،أبعاد الرمز السياسي عند نزار القباني مختارات شعرية، مذكرة مكملة لنيل شهاده ماستر اداب الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019

2-شايب راس زبيدة، السيرة الذاتية لنزار القباني، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة المسيلة ، 2011-2012

3-عيساوي عهد، البنية الايقاعية في قصيدة منشورات فدائية على جدار اسرائيل ، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر علوم اللسان، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي

4-القواسمة هشام عطية ،الرؤيا والتشكيل في شعر نزار القباني ،رسالة مقدمة الى شهادة الدراسات العليا استكمالا للمتطلبات الحصول على درجة الماستر في قسم العربية و و آدابها جامعة مِؤتة

6-مواقع إلكترونية

www.okaz.com

www.addustour.com

الفهرس

الفهـــــرس

شكر وعرفان
إهداء 1
إهداء 2
مقدمة .....أ
المدخل 11-6
الفصل الأول: ماهية الرمز
مفهوم الرمز.....13
أنواع الرمز.....17-14
وظيفة الرمز.....19-18
الفصل الثاني: تجليات الرمز في شعر قباني
دراسة تحليلية قصيدة منشورات فدائية 27-21
دراسة تحليلية قصيدة بلقيس 37-28
دراسة تحليلية قصيدة القدس.....42-38
خاتمة 44
قائمة المصادر و المراجع 47-46